الجزء ٦ المجلد ٦



(دمشق) حزيران سنة ١٩٢٦ م الموافق ذي القعدة وذي الحجة سنة ١٣٤٤ هـ

المعلمة الاسلامية

Encyclopédie de L' Islam

متى ارتقى العلم في أمة لاتقنع من تدوينه بنتف قليلة مبعثرة بل تطلب التفصيل والتمحيص والتنسيق، وتقريب اصوله وفروعه على المتناول، هكذا كانت العرب يوم وضعت أسس العلوم عندهم . فكم من معلمة، او موسوعات او دائرة معارف، لهم في الحديث والسير واللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم التي خاضوا عبابها، دونوها وجودوا في نسقها، ولاتزال الى اليوم يستفاد منها ويدهش المنصفون من وضعها، وينسج الغربيون أصحاب المدنيات الحديثة على منوال علماء العرب في وضع المعاجم والمعلمات تسهيلاً على الناس في التعليم . قال العلامة براون[1] الانكليزي: ألف العرب الكتب في علم تقويم البلدان وتخطيطها على طريقة لم يؤلف مثلها، وكتبهم العربية في التاريخ أوسع الكتب وأدقها في نظري، وبعض المؤلفات العربية في التاريخ لم يكتب على نسقه في اوربا . ثم ذكر كتبهم في التاريخ والفلسفة وتحدى أُمته التي تفاخر بدائرة المعارف البريطانية بجماعة من كبار اهل العلم في العرب ألفوا معلمة اسمها «اخوان الصفاء» بينا كانت اوربا في دور الهمجية . وقال العلامة[2] هيس السويسري في معنى تساهل الوطنيين بمصر بدراسة المدنية الاسلامية البديعة: اننا (اي اهل اوربا) نعجب بها لما نقرأه من آياتها في كتب مشاهير المؤلفين أمثال ياقوت والبيروني والخوارزمي وابن خلدون الخ .

(١) من خطاب له في مأدبة دار الندوة الانكليزية أمام جماعة المصريين سنة ١٩٠٧ (١٣٢٥ هـ) (المقتبس م٢ ص٤٩٧) . (٢) مجلة المجمع العلمي (ج٣ ص٢٦) .

ولقد عاش اهل اوربا زمناً لا يعرفون عن الاسلام والعرب الا ما تسمح بمعرفته قساوسة البيع والديارات ، او تنقله ألسن العامة من التجار والباعة وزوار القبر المقدس في ايليا ، حتى اذا كانت الحروب الصليبية المشؤومة واختلط الغربيون بالعرب وغيرهم من الشعوب الاسلامية وأخذوا يدركون بعض الحقائق و يوقنون ان ما كان بعض رجال الدين يلقنونهم اياه عن العرب فيه ما فيه . وما برح امر الوقوف على أحوال الاسلام والعرب يرتقي سنة عن سنة حتى قوي الاستشراق في الغرب ، وأخذ علماء المشرقيات ينشرون في مطبعة ليدن في هولاندة ، منذ أوائل القرن السابع عشر ، كتب علماء العرب في التاريخ والجغرافيا والادب والفنون والفلسفة . وما برحت هذه المطبعة على ما تعاورها من الأيدي سائرة سيراً متساوقاً لنشر أمهات هذه الكتب التي تتألف منها اليوم خزانة كتب تعد من أهم خزائن أسلافنا ، ولولا ما نشروه لبقي جزء كبير من مدنية العرب في طي الغموض الى اليوم .

اول معلمة عن الشرق أنشأها هربلو (١) من علماء المشرقيات في فرنسا منذ اكثر من قرنين ، ولكن هذه المصادر عن العرب والترك وغيرهم من الشعوب الاسلامية لم تكن متوفرة توفرها اليوم ، ولا كان الاخصاء في العلوم بلغ هذا المبلغ من الدقة في عصرنا . ثم ان معلمة علمية يراد ان يستفاد منها لا يتأتى اليوم ان تعد شيئاً ما دام المنفرد بانشائها واحداً مهما بلغ من ضلاعته في العلم والبحث .

---

(١) هربلو واسمه (Barthélemy de Herbelot de Molainville) هو من علماء المشرقيات في فرنسا ولد وعاش في باريز (١٦٢٥—١٦٩٥) عينه فوكيه وزير مالية فرنسا أميناً للسر ومترجماً من اللغات الشرقية وقد أظله كولبر وزير فرنسا الكبير في عصره بظل حمايته ورتب له الملك لويز الرابع عشر رزقاً . كان استاذاً للغة السريانية في (كوليج دي فرانس) وقد طارت شهرته بالكتاب الذي ألفه واسمه « المكتبة الشرقية او المعجم العام » الحاوي كل ما فيه معرفة شعوب الشرق وتاريخهم وتقاليدهم الحقيقية ولا يزال هذا التأليف يرجع اليه العلماء وقد اكمله غالان (Galland) من علماء المشرقيات من الافرنسيين .

ولطالما جرى البحث[1] في الغرب ولا سيما في مؤتمرات المستشرقين الدولية ، في الحاجة الماسة الى معلمة اسلامية تجمع شتات جميع أبحاث علماء المشرقيات التي هيأوها عن الشعوب الاسلامية . ومثل هذا التأليف لا اثر له في الغرب حاشا « المكتبة الشرقية » ولم توضع المعلمات العربية والتركية بحيث تفي بغرض القراء من الغربيين ممن لا يعرفون هاتين اللغتين فهي اذاً لا تسد هذه الثلمة . ولقد دعي العلامة الاستاذ هوتسما في اترخت من بلاد هولاندة ، الى القيام بهذا التأليف ، فنشر بمعاونة بعض علماء المشرقيات والسادات بريل في ليدن نموذجاً من المعلمة الاسلامية سنة ١٨٩٩ نال استحسان رصفائه ، فطلب معاونة المجامع العلمية في اوربا باسرها للانفاق على هذا المشروع ، فأجابته الى طلبه وأمدته بالمال ، فرضيت عندئذ مطبعة بريل ان تنشر هذا المصنّف على نفقتها . ولم يقرر اولاً اللسان الذي يجب ان يُنشر به هذا الكتاب ، ثم وقع الاتفاق على ان ينشر بثلاث لغات (الالمانية والافرنسية والانكليزية) . قال السيد هوتسما : وهذا القرار اي نشر المعلمة الاسلامية بثلاث لغات مما يؤسف له ، لان مهمة انشاء هذه المعلمة تطول بذلك وتصعب ثلاثة أضعاف ، وقد كان كما قال ، وأشق من ذلك ان نشرها على هذه الصورة يستلزم وقتاً أطول ثلاثة أضعاف للنشر وتزيد النفقات ثلاثة أضعاف .

ضم الاستاذ هوتسما اليه الاستاذ باسيه عميد كلية الآداب في الجزائر ليتولى تحرير النسخة الافرنسية ، والاستاذ ارنولد في لندرا للقيام بالطبعة الانكليزية ، فتولى السيد باسيه ومؤازروه جميع المقالات المتعلقة بشمالي افريقية (الجزائر وتونس ومراكش والسودان) ، وجميع الابحاث المتعلقة بالبلاد الخاضعة للحكومة الانكليزية ماعدا مصر هي مما يرجع فيه الى السيد ارنولد ، وعامة البلاد مثل مصر والمملكة العثمانية باجمعها وفارس وآسيا الوسطى والهند الهولاندية (جاوة) الخ هي في عهدة السيد هوتسما . وعهد بالمقالات المختلفة في هذا الشأن الى علماء كفاة يوقعون على مايكتبون ، وهم وحدهم المسؤولون عما تحويه . والغاية من هذه المعلمة علمية صرفة ، وذلك ليحيط الناس حق الإحاطة بحال

(١) من كتاب تفضل بارساله الى كاتب هذه السطور العلامة السيد هوتسما رئيس تحرير المعلمة الاسلامية في ٢٩ حزيران ١٩١٤ (المقتبس م ٩ ج ١) .

الشعوب الاسلامية و يطلعوا على تاريخهم ودينهم وفنونهم وعلومهم وجغرافية البلاد التي ينزلونها وتراجم المشهورين من رجالهم ·

هذه هي الخطوط الاساسية للمعلمة الاسلامية ، ومابرحت بعد سبع وعشرين سنة من التوفر على نشرها لم تنجز ، «فقد[1] أُصيب العمل في المعلمة الاسلامية بعد الحرب بشيء من الاضطراب العام فسار سيرا السلحفاة ، وكان يُرى من العبث متابعة العمل خلال الحرب في عمل دولي عام · اما الآن فقد حسنت الحال وان كنت لا آمل وانا في سن عالية من الشيخوخة ان أرى نجاز المعلمة التي أَصبح اتمامها مضموناً · ولبلوغ هذا الغرض طلبت مؤازرة تلميذي الاستاذ وانسنك في ليدن يساعدني في انشاء هذه المعلمة فبادر بنشر الجزء الاخير وفيه المقالات التي تبدأُ بحروف S — Z فظهر منه اربع كراريس ، والجزء الثاني الذي يبدأُ من حرف F الى K قد تم تقريبًا وبقيت حروف L الى R وهذا ما يشغلنا ايضًا عدة سنين ·

« تعاورت الطبعات الافرنسية والالمانية ايدي كثير من المنشئين غير مرة ، فقد أُصبنا بخطب عظيم بفقد رصيفي المأسوف له رينه باسيه في الجزائر ثم اتصل بي مؤخراً ما ارمضني وهو ان ابنه وخليفته في العمل هنري باسيه قد اعتبط ايضًا في رباط الفتح · اما النسخة الالمانية فقد تولى انشاءها الاساتذة شادي في همبورغ ور يشار هارتمان في كنسبرغ وبوير في هالي ثم السيد شادي للمرة الثانية والآن السيد هفنغ في بون · وعصفت عواصف المنيـة بين المؤازرين ففقدت المعلمة من أشهرهم العلامة دي خويه استاذي في ليدن، وفقدت من علماء الالمان مارتين هارتمان في برلين، وسيبولد في توبنغ والمجري غولدصهير في بودابست ، والسويسريين السيد فان برشم في جنيف والسيد سوتير، والانكليزي السيد لونكورث ديمس، والسيد مولنسكي في الجزائر، واوستروب في الدانيمارك ، وغيرهم ممن قضوا في ساحات الحرب العامة ·

« ومن أَشهر من يؤازرون اليوم في المعلمة الاسلامية من علماء المشرقيات وهم زهاء خمسين رجلاً ، من الهولانديين وانسنك وجوينبول وفون ارانددونك وهؤلاء الثلاثة مستعربون، ومنهم بويز للفلسفة الاسلامية، وبوخنز للفارسيات ، و كريمر للتركيات ·

(١) من كتاب للعلامة هوتسما كتبه اليَّ يوم ١٠ نيسان سنة ١٩٢٦ ·

ومن الالمان السادة شادي ور يشار هارتمان وبوير وبيكر و بروكلمان ومور يستر ور يتر وميتفوخ وكاهل وفيشير وليتمان ، وهؤلاء كلهم مستعربون ، والاساتذة سوبرنهايم وهرزفلد «للآثار» وستوك «للجغرافيا» وويدمان وروسكا وشواي «للعلوم الطبيعية» وموردتمان ومانزيل وسوسهايم وبابنجر «للتركيات» وشادير «للفارسيات» وغيرهم . ومن الدانيمركيين الاساتذة بول و يدرسن وبورتمان، وهؤلاء الثلاثة من علماء العربية. ومن السويديين الاستاذ سترستين، ومن الروس الاساتذة بارتولد و كرنكوف ومينورسكي و كوفالسكي . ومن الانكليز الاساتذة ارنولد ومرجليوث ونيكلسون وهيج وبفريدج ورفون كوير وفير وغيرهم . ومن الافرنسيين الاساتذة هوار ، ديتنغ ، كارادي فو ، مارسيه ، ايفير ، كور ، بل ، ماسنيون ، كولين ، كاباتون ، فيوليه ، ليفي بروفانسال ، فيت ، غودفروا دمومبين ، فرّان ، دلافوس ، بوفا ، كيليوم ، ديني باريه ، فاكا . ومن الايطاليين الاساتذة جويدي ، غبريفيني (نوفي) ، نالينو ، بالاداشي ، ليفي دللافيدا . ومن الاتراك والشرقيين الاساتذة كوبريلي زاده فؤاد ومحمد بن شنب (الجزائر) وهدايت حسين (الهند) اه» . ومن الموءازرين ايضاً الاساتذة لامنس وهورفيتز وماكدونالد ويوسف علي وسنوك هرغرون و كمفمير، ومن هؤلاء الاعلام في المشرقيات ستة وعشرون عالماً كلهم من اعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق . وليس بين الموءازرين في هذه المعلمة غير اربعة من المشارقة منهم عالم عربي واحد وهو الاستاذ الشيخ محمد بن شنب من علماء الجزائر ، وليس فيهم غير اميركاني واحد وهو الاستاذ ماكدونالد على ما تبين لنا . كما انه ليس فيهم احد من علماء المشرقيات في اسبانيا والبرتقال . وهاتان المملكتان من أشد الامم علاقة بالاسلام والعرب لان تاريخها مدة ثمانية قرون كان في الجملة تاريخ العرب ومدنيتهم .

تصفحنا هذه المعلمة، ورجعنا اليها غير مرة، فكنا نعجب بابحاثها، ونستفيد من علم كاتبيها وتمحيصهم . ولاجرم فهي أمتع كتاب كتب على الاسلام والمسلمين في الغرب ، وهو أقرب الى الحقائق والتمحيص من كل ما ألفه الغربيون في هذا الشأن ، وعمل كهذا يولي العلم الغربي شرفاً واي شرف ، خصوصاً وان القائمين به هم في معرفة الشرق الاسلامي مجتهدون لا مقلدون : ذكنوا بعض لغاته ومنهم من عاش بين أهله دهراً ، فاذا كتبوا وفوا

الموضوع حقه ، واكثر مادتهم عربية اومن لغة اسلامية ، وقليل من موادهم ما يكون بلغة اجنبية ، اللهم الا اذا كان تأليفاً لاحد علماء المشرقيات ، وقد تكون مصادره الاصلية شرقية معتمدة . ولكتاب هذه المعلمة عناية خاصة بالعزو الى المصادر المنقول منهـا شأن علماء العرب في التغالي بتصحيح السند ، والولوع بالاحاديث مروية بأسانيدها ، ولو أورثت الكتاب طولاً وتكراراً .

وانا لنرجو من كل من عرف في هذا الشرق العربي ، احدى اللغات العلمية الثلاث التي صدرت بها المعلمة الاسلامية ، ان يطالعوا مقالاتها مطالعة إمعان وتدبر ، ليقفوا على مبلغ علماء الغرب اليوم من معرفة الاسلام والمسلمين ، وتوفرهم على البحث والدرس . ولو كان كل ما يكتب على هذه الديار مثلاً بأقلام محققين من تلك الحلبة التي تتألف منها لجنة انشاء المعلمة الاسلامية ، لما تسرب الخطأ الى السياسيين والاجتماعيين في الحكم على سكان هذا الشرق القريب . ونرجو من صميم فؤادنا ان تطول ايام صديقنـا العلامة هوتسما حتى يرى ثمرة عمله العلمي ناضجـة من كل وجه ، خدمة للعلم والادب جزاه الله عنهما خير جزاء .

محمد كرد علي



نموذج من معجمنا

« في العامية المصرية »

ظُهورات

الظهورات بضمتين نوع من الخِدْمة في الدواوين خارج عن الخدم الدائمة يلجأ اليه عند تراكم الأعمال اوحدوث أعمال جديدة تستدعي المعاونة فيستخدم لها أشخاص على نية فصلهم عند انجازها وعلى ان لا تكون لهم أرزاق ينقدونها بعد الفصل كالتي للمستخدمين الدائمين وتسمى بالمعاشات . ويطلق هذا اللفظ عندهم على المفرد والجمع وعلى نوع الخدمة فيقال كاتب ظهورات وكتّاب ظهورات وخدمة ظهورات بارادة الوصف لا الاضافة . وهو محرّف عن الظُهَراء بمعنى المعينين من ظاهره مظاهرة اذا أعانه فالصواب ان يقال للواحد ظهير بفتح فكسر وللجمع ظهراء بضم ففتح ولنوع الخدمة مظاهرة .

عالمة

العالمة عندهم المغنية والمقصود العالمة بفنّ الغناء ولكنهم خصوا به النساء ولم يقولوا للمغني عالم بل قالوافيه آلاتي . ويجمعون العالمة على عوالم وهو جمع صحيح قياساً واطلاق هذا اللفظ على المغنيات قديم في العامية يرتقي الى القرن السابع فيما نعلم وربما كان أقدم من ذلك . ذكر ابن ابي أصيبعة في عيون الأنباء ان نجم الدين بن المنفاخ المتوفى سنة ٦٥٢ [1] كان يعرف بابن العالمة لان أمه كانت عالمة بدمشق وتعرف ببنت دهين اللوز هكذا بالنسخة والذي في الوافي بالوفيات للصفدي « و يعرف بابن العالمة دهن اللوز كانت عالمة بدمشق » قلنا ولعل دهن اللوز هذه هي التي ذكرها ابو شامة في وفيات سنة ٦١٤ من ذيله على الروضتين فقال « وفيها توفيت بدمشق العالمة المعروفة بدهن اللوز وكانت شيخة العالمات بدمشق في ربيع الآخر » والراجح ان المراد بالعالمة هنا

---

(١) في الوافي بالوفيات للصفدي وقيل ٦٥٦ .

المغنية ولو كانت من أهل العلم لقيل فيها غير ذلك كالمحدّثة او الفقيهة او الاديبة ولنعتت بشيء من نعوت الفضل .

وفي تراجم النساء من الضوء اللامع للسخاوي « اقليم شيخة العوالم ومولاة الشيخة أمّ سليمان آلاتية ماتت بمكة في شعبان سنة احدى وستين[1] أرّخها ابن فهد وخلفها في حرفتها فاطمة ابنة السلاوي آلاتية » وقال في ترجمة فاطمة المذكورة « فاطمة ابنة احمد السلاوي ابن عبد الكريم الهلالية وتعرف بالسلاوية شيخة العوالم بمكة بعد اقليم الماضية وزوجة علي بن مزروع العطار ماتت بها في ليلة سادس عشر صفر سنة اثنتين وتسعين[2] وصُلّي عليها بعد الصبح ثم دفنت بالمعلاة وخلّفت تركة متسعة وورثة مستغرقين وخلفها ابنتها من ابن مزروع » . ولا ريب في ان المراد بشيخة العوالم في الترجمتين شيخة المغنيات ولا سيما في التعبير عن عملهن بالحرفة .

وذكر ابن طولون الصالحي في نفحات الزهر في ذوق اهل العصر ان نورالدين بن رحاب المصري المغني كان متزوجاً بمن اسمها فضة وعبر عنها بنقيبة العوالم . وأورد صاحب تحفة العاشقين ونزهة المحبين لبعضهم في عالمة :

عالمة عالمة بالجفا قامتها عادلة ظالمة
قلت لها هل تعلمين الذي ألقاه قالت إنني عالمة

والمقطوع مذكور بين مقطوعين في ضاربةٍ بالدف وفي ساقية .

ويرادف العالمة من الفصيح (القينة) بفتح فسكون ولا يهولنك قول الحريري في الدرّة « ومن ذلك توهمهم ان القينة المغنية خاصة وهي في كلام العرب الأمة مغنية كانت او غير مغنية » فقد ردّ عليه الخفاجي في الشرح بقوله « وقيده ابن السكيت بالأمة البيضاء واستعماله بمعنى المغنية كثير في كلام العرب نظماً ونثراً وفي الحديث كان لعبدالله بن حنظلة[3] قينتان تغنيان وفي القاموس القينة المغنية اوأعم وهو تخصيص للعامّ باحد فرديه او المجاز المشهور فلا وجه لانكاره » . وفي النهاية لابن الاثير « ومنه الحديث نهى عن بيع القينات اي الأماء المغنيات وتجمع على قيان ايضاً » .

---

(١) و(٢) اي وثمانمائة . (٣) في النسخة المطبوعة بالجوائب (خطل) وهو خطأ .

وهو اللفظ الذي استعمله الفصحاء للمغنيات زمن الدولة الأُموية وفي صدر الدولة العباسية وجاراهم المولّدون في استعماله بعد ذلك الى ان أحدثوا لفظ العالمة فأُميت · اما تفسيرهم القينة بالأَمة المغنية فقد علله ابومنصور الازهري بان صناعة الغناء كانت من عمل الإِماء دون الحرائر ·

غَباني

الغباني بالفتح وتخفيف الباء نوع من النسيج يوشى بالحرير الاصفر مسيّراً او مشجراً واكثر ما يستعمل في مصر للحُزُم ولفائف العمائم ولاسيما عمائم البستانيين حتى أصبحوا يميزون بها بين العمال · ويعتمّ به من غير المصر بين تجار الشام النازلون بمصر وقد يتخذون منه ملابس وكان قديماً من لباس العظماء في المملكة العثمانية · وفي غير مصر يقولون فيه أَغباني بالالف في أوله اواغاباني بزيادة الف ايضاً بعد الغين وبه عبر بعض المؤلفين وورد في مجلة الجنان التي كانت تصدر ببيروت في الكلام على الملابس العثمانية نقلاً عن زبدة الصحائف في سياحة المعارف بما نصه : « وما كنا نراه من القواويق المضربة التي كانوا يضعونها على رؤوسهم اشبه بالتيجان والعمائم التي كانوا يتعممون بها عليها من الشاش الابيض وما كانوا يتعممون به ايضاً على الطرابيش الحمر من الشالات الكشميرية والاغاباني وغير ذلك » ·

وزيادة الالف في اوله هي الاصل فيه وقد استعمله الاتراك بها ولكن مع حذف الغين فقالوا أباني وآباني بمدّ اوله وفسروه في معاجمهم بثوب ارضه بيضاء موشاة بالحرير الزعفرانيّ ولم يعرف اكثرهم اصله وذهب بعضهم الى انه أَغباني وقيل آق بانُو ولكن مع التوقف والشك ومعنى آق الابيض و بانو في الفارسية السيدة المسنة والاميرة وقارورة ماء الورد اوالخمر · والاقرب فيما نرى ان يكون من (آغا) ومن (بان) واصل الآغا بالمد الاخ الكبير في لغة الجغتاي واستعمله الأتراك في اللغة العثمانية بهذا المعنى وأطلقوه ايضاً على الأمير العظيم وعلى رئيس الخصيان وقد فصلنا الكلام عليه في حرف الالف من المعجم · واقتبسه الفرس من التركية وقالوا فيه ايضاً آقا بالقاف ولقبوا به العظماء والعلماء · واما (بان) فكلمة تلحق في الفارسية باواخر الكلم للدلالة على حافظ

الشيء وحارسة كعلامة (جي) في التركية كقولهم باغبان لحافظ الباغ اي البستان وهو في التركية باغجي . فكأن من سمى هذا النسيج بالاغابان اي حافظ الامير نظر الى انه واق لجسمه وحافظ له كما قالوا لقفاز الصيد دستبان اي حافظ اليد ثم قالوا أغاباني وأغباني وغباني . و يرجح ذلك انه كان من لباس العظماء في المملكة العثمانية كما قدمنا .

و يرادفه من الفصيح (السِيَراء) بكسر ففتح وقد يسكن الثاني وهو كما في القاموس « نوع من البرود فيه خطوط صفر او يخالطه حرير » وأنشد عليه صاحب اللسان للنابغة :

صفراء كالسيراء اكمل خلقها كالغصن في غُلَوائه المتأوّد

وهو اسم كما ذهب اليه سيبويه لانه أنكر مجيء فِعَلاء صفة فمن قال حلة سيراء فهو على الاضافة كما يقال حلة حرير ومنهم من أجاز ان يكون صفة . وزاد في اللسان « وقيل هي من ثياب اليمن » قال شارح القاموس « قلت وهو المشهور الآن بالمضف » هكذا بالنسخة بالضاد المعجمة وبلا نون والصواب (المَصْنَف) بفتح الميم وسكون الصاد المهملة وفتح النون كما أفادنيه احد فضلاء اليمن النازلين بمصر قال ولم تزل عامة اليمن تعرفه بهذا الاسم وهو مطرف من الحرير مطرّز الحواشي بخيوط من الفضة يتلفّع به في اليمن كما يتلفّع بالمطارف الكشميرية في غيرهم الا انهم لا يصنعونه الآن بل يصنعون بدله مطارف ساذجة بلا تطريز يسمون الواحد (لحفة) بكسر الاول والباقي منه قديم متوارث يتفاخرون به ويتلفّعون به في الاعياد . قلت واللفظ عاميّ الا ان له اصلاً في اللغة وهو صِنْف الثوب وصِنْفته بمعنى حاشيته فسمت العامة هذا المطرف بالمصنف لانه مطرز الحاشية . والظاهر ان هذه المطارف كانت تنسج مسيّرة بخطوط صفر زمن شارح القاموس فرأى على ما ظهر له انها المسماة بالسيراء عند العرب . وعلى اي حال فالسيراء من أقرب الالفاظ وألصقها بالغباني كما لا يخفى .

---

(١) هذه التسمية لا تصح وان كان لمادتها أصل في اللغة ولو انهم قالوا (المصنّف) اسم مفعول بتشديد النون لكان أقرب دلالة على المراد الا ان التصنيف لم يرد في اللغة بمعنى تطريز الصنف اي الحاشية .

فيّس

الفيّيس بفتح أوله وكسر الياء الاولى المشدّدة يريدون به الجواد المنفاق المفاخر بما ينفقه وهو من صفات المدح عندهم ولم يستعملوا له فعلاً ويقصدون بهذه الصيغة المبالغة كقولهم شرّيب وسكّير بفتح الاول والصواب كسره · وليس لمادة (ف ي س) وجود في كتب اللغة التي بأيدينا وانما هو محرّف عن الفيّاش بفتح الاول وتشديد الثاني وبالشين المعجمة في آخره ومعناه السيد المفضال المفاخر على ما في القاموس وشرحه الا ان العرب تجعله للمتكبر المكاثر بما ليس عنده فاستعملته العامة في احد معنييه بعد تحويل صيغته وابدال سينه شيناً ·

قمّر

يقولون قمّر العيش بمعنى لين الخبز بوضعه على الجمر وأهل المدن وغالب الريف يقلبون القاف همزة كعادتهم فيقولون فيه أمّر والذين ينطقون بالقاف كالجيم المصرية في الصعيد وبعض الريف يقولون جمّر ولا يقول قمّر الا أهل رشيد وبعض جهات بني سويف وقد بينا اختلافهم في النطق بالقاف في المقدّمة · وأصل التقمير محرّف عن التجمير واستعماله في وضع الشيء على الجمر معروف عند العرب ففي المستدرك على (ج م ر) من شرح القاموس «وذبحوا فجمّروا اي وضعوا اللحم على الجمر ولحم مجمّر» وكأن الذين سمعوه بالجيم ظنوا انه من لغة من ينطق بالقاف جيماً مصرية فقلبوها همزة وقالوا امّر وجاراهم في ذلك من ينطقون بالقاف القرشية فقالوا قمّر على لغتهم · ورأيته بالقاف في الفيّة الطعام التي نظمها الشيخ عامر الأنبوطي من شعراء مصر في القرن الثاني عشر معارضاً بها ألفيّة ابن مالك وأولها :

يقول عامر هو الأنبوطي   أحمد ربي لست بالقنوط
وأستعين الله في ألفيّه   مقاصد الأكل بها محويّه

الى ان يقول في الخبز :

والاصل في الأخباز ان تقمرا   وجوّزوا التقديد اذ لا ضررا

ورأيت في طبقات مخطوطة عندي أبياتاً مختلة الوزن لتحريف بالنسخة منسوبة

لابي طاهر اسماعيل المعروف بابن مكنسة من شعراء العصر الفاطمي[1] ورد فيها البيض المقمّر بمعني المطبوخ فاذا لم يكن اللفظ محرّفاً فهو دليل على ان استعمال التقمير للطبخ قديم في العامية ثم خصّ بعد ذلك بتليين الخبز على الجمر وهو في كلا الاستعمالين محرّف عن التجمير كما قدمنا ٠

كَدَّابة

يريدون الكذّابة من الكذب بالمعجمة وهم يقلبونها في الغالب دالاً مهملة والمراد بها أنواع الطعام الخالية من الأدهان او اللحم وتطلق في الاكثر على شيئين نوع من الحساء يصنع للمرضى بلا دسم يسمى (الشوربة الكذّابة) ونوع من الحشي يطبخ بالزيت بلا لحم يسمى (الضولمة الكذابة) ٠ وقد استعمل الاطباء قديماً لفظ المزوّرة للطعام الخالي من الدهن او اللحم المستعمل في أغذية المرضى وخصها الشهاب في شفاء الغليل بالمرقة فقال « المزوّرة بوزن المفعول مرقة يطعمها المريض مولّدة وقال الفقهاء في الايمان هي ما يطبخ خالياً من الادهان » ولكنه فسرها في الريحانة بقوله « هي اسم طعام يطبخ من غير لحم للمريض » قلنا وهو الموافق لما رأيناه في وصف أنواعها في كتب الطب والاطعمة فانها غير خاصة فيها بالمرقة وأنشد الثعالبي في اليتيمة لابي محمد المطراني :

والمودّات ما خلت من تهادٍ مكدرة
كطبيخ خلا من اللحـ ـم يدعى مزوّرة

وأنشد الراغب في محاضراته لجحظة :

قدّم سكباجة مزوّرة أحمض من وجهه اذا أكلت

وفي اليتيمة والمحاضرات وغيرهما من كتب الأدب مقاطيع أخرى تدل على انها غير خاصة بالمرقة ٠ وهي عربية المادة والصياغة فلا يضر كونها مولّدة ونراها اولى بالاستعمال من الكذّابة ٠

وفي شرح التبريزي على الحماسة في تفسير قول الشاعر :

ألهاكم ان تطلبوا بأخيكم أكلُ الخَزِير ولعقُ أجردَ أمحق

---

(١) في فوات الوفيات لابن شاكر انه توفي في حدود سنة ٥٠٠

أن المراد بالأجرد اللبن الذي أُخذ زبده او رغوته او المرق لاوَدَك عليه . ولكن الظاهر انه ليس من الصفات الغالبة .

لَوّاشة

اللواشة بفتح الاول وتشديد الثاني خشبة تشد في فم الدابة لاخضاعها عند الانعال اوالقصّ او غير ذلك ولم نقف على أصل لها في اللغة والمعروف عند العرب الزيار بكسر الاول قال في الاساس « زيّرالبيطار الدابة شد جحفلته بالزيار وهو خيط في رأس خشبة » وفي اللسان « الزيار ما يزيّر به البيطار الدابة وهو شناق يشدّ به البيطار جحفلة الدابة اي يلوي جحفلته » الى ان قال « وزيّر الدابة جعل الزيار في حنكها ، وفي الحديث ان الله تعالى قال لأيوب عليه السلام لا ينبغي ان يخاصمني الا من يجعل الزيار في فم الاسد ، الزيار شيء يجعل في فم الدابة اذااستصعبت لتنقاد وتذلّ » . ومن طريف ما يروى ان ابن عصفور لما ألّف كتابه المقرّب في النحو انتقده جماعة من أهل قطره الاندلسيين وغيرهم وألّفوا في ذلك منهم ابو الحسن حازم القرطاجنّي الخزرجيّ فسمى كتابه شد الزيار على جحفلة الحمار كذا في نفح الطيب وذكر ان في بعض الانتقادات تخليطاً كثيراً وتعسفاً وأنشد :

وفي تعب من يحسد الشمس نورها ويأمل ان يأتي لها بضريب

ماشة

الماشة حديدة ذات شعبتين يمسك بها الجمر وقد تصنع من الصُفْر اذا أُريد استعمالها في مواقد الغرف . والراجح انها دخيلة من التركية فانهم يقولون فيها مشه وماشه وأصلها من الفارسية ماشه قال الحفيد في الدرر المنتخبات المنثورة وهي بالعربية الملقاط قلنا ولم تزل عامة الحجاز تسمي الماشة بالملقاط ولا نرى بأساً من استعماله . وقال المولى علي چلبي في خير الكلام في التقصّي عن أغلاط العوام ان الماشة في التركية عربية الاصل وانها محرفة عن المحشّة ونقل قول القاموس « المحشّ حديدة يحش بها النار اي تحرّك كالمحشة » قلنا واذا صح هذا فالراجح انها دخلت الفارسية اولا ثم اقتبسها الاتراك منها .

والعرب تقول لماشة الحدّاد الكَلْبتان بالتثنية قال في القاموس « الكلبتان ما يأخذ به الحداد الحديد المحميّ » ومن الشعر العربي الواردة فيه ما أنشده صاحب الأغاني للاشهب ابن رُمَيلة في هجاء الفرزدق ·

يا عجباً هل يركب القين الفرس وعَرَق القين على الخيل نجس
وانما سلاحه اذا جلس الكلبتان والعلاة والقبس

والعَلاة السندان · ولم تزل العامة بمصر تسمي الماشات الضخمة التي للحدادين بالكلبتين كما تسمى بها ايضاً آلة خلع الاسنان ولا نرى مانعاً من استعمال الكلبتين ايضاً للماشة المعروفة او ان نسميها بالملقاط كما قدمنا · اما المحشة فالمفهوم من التعريف اللغوي انها عود لتحريك الجمر لا التقاطه ·

نبج

يقولون نبج الدمّل والجرح اذا ضرب بوجع وكذلك كل عضو مصاب برثية ونحوها يقولون فيه نبج عليّ اذا ضرب بوجع · وليس له أصل في اللغة بهذا المعنى من هذه المادة والعرب تقول فيه أمح قال في القاموس « أمح الجرح يأمح أمحاناً محركة ضرب بوجع » وفي اللسان « الازهريّ قال في النوادر أمح الجرح يأمح أمحاناً ونبَذَ وأزّ وذَرِب ونَفَع ونبَغ اذا ضرب بوجع » · قلنا اما النبذ ففسر في موضعه بضربان العِرْق والأزّ بضربان العرق وبالوجع في خراج ونحوه ولم نجد ذرب ونفع ونبغ في موادها بهذا المعنى ولكن الازهري ثقة فلعلها استعملت في هذا المعنى بضرب من التجوّز واذا كان كذلك فالظاهر ان العامة حرفت نبج عن نبغ ·

هون

الهون بضمة بين الضم والفتح كحركة حرف (o) في الافرنجية وكل فتحة تليها واو ساكنة ينطقون بها كذلك الا ما شذّ عندهم فالأصل فيه هَوْن بفتح فسكون ويريدون به ما يدقّ فيه الشيء والغالب ان يكون من نحاس او صُفْر او رخام · وهو محرف عن الهاون بفتح الواو وضمها ويقال فيه الهاوُون ايضاً فارسي معربّ وعربيه المنحاز والمهراس بكسر أولها · وعبر الاطباء بالمضربة عن الهاون المستعمل في

الصيدليات لمزج المراهم ونحوها على ما يؤخذ من قول القفطي في ترجمة ابي قريش من تاريخ الحكماء « فقال ليس يتفق لكم رأي حتى يذهب بصر هذا ثم دعا بدهن بنفسج وماء ورد وخلّ وخمر وجعلها في مضربة وضربها على راحته حتى اختلط الجميع » وهذه المضارب كما لا يخفى مختلفة الحجم والنوع منها الصغير ومنها الكبير ومنها الرخام ومنها البلور .

وقد اتخذت العرب من الجلود شبه هاون وسمته بالكدن بكسر فسكون قال في اللسان « الكدن شيء من جلود يدق فيه كالهاون وفي المحكم الكدن جلد كُراع يسلخ و يدبغ و يجعل فيه الشيء فيدقّ فيه كما يدقّ في الهاون » .

وِشّ

الوشّ بكسر الاول وتشديد الشين الوَجْه وهو محرّف عنه والظاهر انهم سمعوا ممن يرتضخون فيه لكنة أعجمية او بدوية عامية فيقولون وِچْه بالجيم القريبة من الشين فقالوا هم وشّ بحذف الهاء وتشديد الشين .

وقد استعملوا الوش في الانسان والحيوان وفي كل شيء فسموا به الظهارة في الأقبية والمخاد وغيرها وقالوا فلان وشّ كذا اذا كان من بابته اي يصلح له والغالب استعماله في الذم وقالوا للمقارب للشيء هو على وش كذا كقولهم (الفرخة على وشّ بيض) اي قاربت الدجاجة ان تبيض والمهر على وشّ ركوب للمهر المُفْقِر اي الذي حان ان يركب . ومن كناياتهم (اكل وشّه) اذا انتقده وعابه او بالغ في عتابه . كل ذلك يقولون فيه وش فاذا أرادوا الريف قالوا الوجه البحري ولم يقولوا الوش البحري ومثله الوجه القبلي للصعيد وذلك لان كتّاب الدواوين يكتبونه الوجه في الأوامر والمناشير الصادرة الى مشايخ القرى فجرى على ألسنتهم وسرى منها الى العامة .

أما بلدة الوجه التي كانت من منازل الحج فمنهم من يقول فيها الوجه ومنهم من يقول الوش وعبّر باللفظين أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي في رحلته الى الحجاز سنة ١٢١١ فقال « ونزلنا غداً عند الشروق بالوشّ على مسيرة اثني عشرة ساعة ووجدنا هنالك ماءً كثيراً عذباً » الخ ثم أنشد فيها :

والوجه لولا الماء زال بهاؤه فانزل وهمك عنده الآبار

ولم يعبر الجزيري في درر الفرائد المنظمة الا بالوجه وهو من علماء القرن العاشر وكذلك رأيناه فيما اطلعنا عليه من عبارات المؤرخين وأقوال الشعراء قبل هذا القرن فالظاهر ان تحريف هذا اللفظ بالوشّ حدث بعد القرن العاشر الا ان يكونوا تعمدوا التعبير بلفظه الصحيح . وعبّر الجبرتي في تاريخه بالوشّ متابعة للعامة كعادته فقال في ترجمة اسماعيل بيك ابن إيواظ بيك (١) « فلما رحل الحج من قلعة الوش سمعوا نوبة عبد الله بيك من بعيد فلما وصلوا اليهم نزل عبد الله بيك وسلم على الصنجق » وكثيراً ما يعبر عن سكّانه بالوشّاشة كما يعبر عن سكّان العقبة بالعقابة . وقال في موضع آخر في ترجمة حسين بيك الوشّاش « وسبب تلقيبه بالوشّاش انه كان طلع للاقاة الحجاج بمنزلة الوشّ في سنة ورود الفرنساوية » .

يَخّ

اليخّ بفتح اوله وتشديد الخاء يضربون به المثل في البرودة ولا يعرفون ما هو ويخصونه بالبرودة المعنوية فيقولون (فلان أبرد من يخ) اذا كان ثقيلاً بارداً . وهو لفظ فارسي معناه الثلج وفي معاجمهم انه المعبر عنه في العربية بالجَمَد .

احمد تيمور

(١) إيواظ محرّف عن عوض بكسر ففتح والأتراك يقلبون العين همزة والضاد ظاء في النطق فقالوا فيه أوظ ثم اشتهر بايواظ باشباع الكسرة والفتحة .

تصحيح نهاية الارب

« تتمة أغلاط الجزء الرابع »

وفي ص٩٣ س٤ — قوله (فانظر لنفسك قاضٍ انني رجل الخ) صوابه (فانظر او فاختر لنفسك غيري) والا كان الواجب ان يقول (قاضياً) بالنصب لانه مفعول ولو نصبه لاختل الوزن ٠ على ان المشهور في رواية البيت ما ذكرنا ٠

وفي ص٩٣ س٧ — قوله : كان يأخذ الكأس بيده و يخاطبها قائلاً (أما العقل فتُتلفين الخ) ثم يعود فيقول مادحاً (واما النفس فتسحبين واما القلب فتشجعين الخ) لعل صواب (فتسحبين) (فتشرحين) او ماهذا معناه ٠ واما سحب الخمرة للنفس فلا معنى له اوله معنى تافه لا يقصده البلغاء ٠ ثم انتبهت الآن الى ان صواب (تسحبين) (تسخّين) من السخاء اي تحملين النفس على السخاء والجود ولكن يرد على هذا ان معاجم اللغة لم تذكر (سخّاه) مشدداً لإفادة التعدية اللهم الا ان يقال انه أصل تقرر فيحسن ان يقاس عليه ولا داعي لذكر جزئياته ٠

وفي ص٩٣ س١٣ — قوله في صفة سكران (ويمشي ضعيفاً كمشي النزيف الخ) فسّر المصحح (النزيف) بالذي ذهب عقله والصواب انه الذي سال دمه بافراط حتى ضعُف واسترخى جسمه فلم يعد قادراً على المشي نعم انهم يقولون (أُنزف ونزف) بالبناء للمجهول اذا ذهب عقله لكنهم لا يقولون في الوصف منه (نزيف) بمعنى ذاهب العقل وانما يقولون (منزف ومنزوف) كما يفهم من التاج ٠

وفي ص٩٩ س٥ — قوله (وأزَحتَ عنه حُثاثه فانزاحا) ضبط (حُثاث) بضم الحاء وصوابه فتحها او كسرها وأصل معنى (الحثاث) السرعة ثم استعير للنوم القليل لسرعة ذهابه ٠ ومنه قول الحريري (لا أَطْعَم النوم إلا حَثاثا) ٠

وفي ص١٠٤ س١٣ — قوله (واست بفحّاش عليه وان أسى) هكذا كتب (أسى) بالياء ٠ وصوابه (أسا) بالالف لأن أصله (أساء) بالهمزة فاذا حذفت بقيت الألف على حالها كما تبقى ألف كل اسم ممدود بعد حذف همزته ٠

وفي ص ١٠٨ س ١٣ — قول ابن المعتز :

(كأنه قائم والكأس في يده هلال اول شهر غاب في شفق)

صوابه (والكأس في فمه) لان الكأس التي يشبه حرفها بالهلال إنما يصح ان يكون مغربها الفم الذي يشبه الشفق بحمرته وتلك الكأس تغيب فيه ولا كذلك اليد : فإنها لا تشبه بالشفق عادة ولا تغيب الكأس فيها .

وفي ص ١٢١ س ٢ — قوله في صفة جرار الخمرة (استَوْدعتها رواقيد مقيّرة) ضبط (استودعتها) مبنيًا للفاعل . والرواقيد وهي الدنان الكبيرة لا تستودع الخمرة شيئًا آخر وانما هي نفسها تكون مستودَعًا للخمرة فالفعل اذن مبني للمفعول .

وفي ص ١٢٦ س ١٧ — قوله واصفًا حسن معاشرته لنديمه وانه يؤثره على نفسه بالطيب من الشراب :

(ولستُ له في فضلة الكأس قائلاً لأصرفه عنها — تحسَّ وقد أبى)

(ولكن احيّيه واكرم وجهه وأشرب ما أبقى وأسقيه ما اشتهى)

صواب قوله (لأصرفه عنها) (لأصرفها عني) اي لا اقول لنديمي تحسّ اي أشرب فضلة كأسي لاجل ان أصرف هذه الفضلة عني تقززًا منها . كلا لاأفعل ذلك ولكن أحيّيه الخ . اما قوله (لأصرفه عنها) فلا يلتئم مع قوله (تحسّ) اذ كيف يصرف نديمه عن فضلة الكأس ثم يقول له تحسها اي اشربها على ان الفضلة تصرف عن الشارب لا الشارب عن الفضلة وعليه قول الشاعر :

(صددتِ الكأس عنا أم عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا)

ومعنى (صددتِ) صرفتِ الكأس وحوّلتها عنا . ولا يحسن ان يقول (صددتنا عن الكأس) .

وفي ص ١٢٨ س ٣ — قول البحتري لنديمه في اوائل شعبان :

(قم نبادل بها الصيام فقد أقْ مَرَ ذاك الهلال من شعبان)

كذا (نبادل) باللام ولا معنى له وصوابه (نبادر) بالراء اي نعاجل شهر الصوم فنشربها قبل انقضاء شعبان الذي أقمر هلاله اي بلغ ان يصير قمرًا .

وفي ص ١٢٨ س ٨ — قول البحتري ايضاً :

(ان لانَ عطفاه قسا قلبه او ثبّتَ الخلخال جال الوشاح)

ضبط ثبّت بتشديد الباء وصوابه تخفيفها ثلاثياً ومعناه استقر ولم يتحرك .

وفي ص ١٣١ س ٦ — قول ابن عمار :

(متأرّج الحركات تندى ريحه كالغصن هزته الصبا بتنفّس)

كذا (متأرج) بالراء والجيم ومعناه فائح الرائحة الطيبة ولكن إضافته الى (الحركات) يبعد ان يكون هذا المعنى هو المراد هنا فصوابه (متأود الحركات) اي متعطف ومتثني وهو مع ذلك تفوح منه رائحة طيبة فأشبه الغصن من جهتين : اهتزازه وفوحان رائحة زهره و(الندى) شيء يتطيّب به لكن لم يرد منه فعل كما قال هنا (تندى) . فلعله من (نَدِيَ الصوْت) اذا بعُد فمعنى (تندى ريحه) تبعد في فوحانها .

وفي ص ١٣٤ س ١٣ — قوله (الغناء رائدة من رائدة الفجور) كذا بتأنيث الكلمتين وافرادها وصوابه (رائدٌ من رادة) بافراد الاول وتذكيره لانه وصف للغناء وهو مذكر وبجمع كلمة (رادة) فان (رائد) كما يجمع على روّاد يجمع على رادة ايضاً كصاغة في جمع صائغ ومعنى (الغناء رائد من رادة الفجور) انه يتقدمه كما يتقدم الرائد الركب ومثله قولهم (الحمى رائد الموت) .

وفي ص ١٦٨ س ٥ — قوله (حسماللباب) صوابه (حسماً للباب) وهو ظاهر .

وفي ص ١٨٥ س ٢٠ — قوله (والستر المورشيّ) صوابه (الستر الموشّي) وهو اسم مفعول من وشى الثوب اذا زينه ونقشه كوشّاه بالتشديد .

وفي ص ١٩٥ س ٣ — قال (ما تقول في هذا السماع قلت هو الصفاء الزلالُ التي لا تثبت عليه الاقدام العلماء) قوله (الزلال) ضبطه بضم الزاي فأوهم ان المراد بالصفاء الماء ولكن قوله بعد ذلك (لا تثبت عليه الاقدام العلماء) يبعد هذا المعنى ويدل على ان الكلمتين محرفتان وصوابها (الصَفَا الزلاّل) من دون همز في الاولى وبتشديد اللام في الثانية . والصفا والصفواء والصفوان — كلها بمعنى الصخر الاملس الذي تزل عليه الأقدام و (الزلاّل) صيغة مبالغة من زلّ بمعنى زلق عن صخرة اوغيرها . ومن أمثالهم (كما زلت الصفواء بالمتنزّل) اي كما يزلق النازل عن الصخرة الملساء .

وفي صفحة ١٩٥ سطر ٩ — قوله (كما ينساب في مكمنه الأرقم) صوابه من مكمنه ·

وفي صفحة ١٩٥ سطر ١٣ — قوله (دبّ من قدمي شيء الى رأسي) صوابه (الى قلبي) بدليل قوله بعد ذلك (فلما اجتمعا على قلبي) ·

وفي صفحة ٢٢٨ سطر ١٣ — قوله (ألا رُبَّ طيفٍ طارق قد بسطته الخ) صوابه (ضيف) بالضاد نعم ان (الطيف) قد يطرق و يرتاح اليه المطروق ولكن سياق الابيات يدل على ان المراد وصف حفاوة (ابي دلف) بالضيف وإحسانه نزله ·

وفي صفحة ٢٤١ سطر ٢ — قوله (وتعجباً من علمه) صوابه (وتعجبنا) بدلالة السياق ·

وفي صفحة ٢٤٢ سطر ١٤ — قول طويس (أنا والله مع حلائل نساء قومي) حلائل بالحاء المهملة جمع (حليلة) امرأة الرجل الحلال له · وهذا المعنى غير مرادٍ هنا فصوابه (جلائل) بالجيم جمع جليلة وهي المرأة العظيمة · كالجليل في الرجال وتجمع هذه على (جِلَّة وأجلَّة) كما تجمع تلك على (جلائل) ·

وفي صفحة ٢٩٣ سطر ٣ — قوله (اريد وصيفةً ···· جميلة الوجه ···· سباطة) صوابه (سبطة) بسكون الباء و كسرها يقال امرأة سبطة الخَلْق اي رخصته لينته كما في لسان العرب و يقال غلام سبط الجسم اي حسن القد لطيف ·

وفي صفحة ٣٠٠ سطر ١٨ — قوله :

(ما رعدت رعدة ولا برقت   لكنها أنشأت لنا خُلُقه)

ضبط (خلقه) بضم الخاء واللام وصوابه (خَلَقة) بفتحهما · و (الخَلَقة) السحابة المستوية المخيلة للمطر اي التي هي مظنة ان تمطر فقولهم سحابة خَلَقة بمثابة قولنا سحابة خليقة بان تمطر جديرة بانتظار ذلك منها ·

وفي صفحة ٣١٠ سطر ٣ — قول ابي العتاهية :

(نادت بوشك رحيلك الايام   أفلست تسمع ام بك استصمام)

صوابه (أم بك الإصمام) بهمزة قطع مصدر أصمَّ الرجل بمعنى صم الثلاثي اي صار أصمّ · ولم يرد في اللغة (استصم) بمعنى صمَّ · وان وردت ايضاً في ديوان ابي العتاهية المطبوع في المطبعة اليسوعية ·

وفي صفحة ٣١٢ سطر ١٨ — قوله في صفة يحيى بن مرزوق المغني (وكان

المغنون يفزعون اليه في الغناء القديم فيأخذونه عنه و يعاني بعضهم بعضاً بما يأخذونه منه) كذا (يعاني) بنون ثم ياء وصوابه (يعايي) بيائين من المعاياة وهي ان يُلقي إنسان على آخر قولاً لا يهتدي لوجهه الا بتأمل وإعمال روية وفي الاساس (إياي ومسائل المعاياة . فانها صعبة المعاناة) وهذا المعنى اي المعاياة هو المراد هنا بدليل ماجاء في رواية الاغاني وهي (و يعايي بعضهم بعضاً بما يأخذه منه و يُغرب به على أصحابه) فقوله (و يُغرب) من الاغراب وهو الإتيان بالشيء الغريب الذي يدهش له السامع فهؤلاء كانوا يقتبسون من يحيي أصواتاً في الغناء غريبة غير معهودة فيطرحها بعضهم على بعض كما يتطارح الأخوان الاعايي والاحاجي .

تتمة

نلخص فيما يلي عن مجلة الزهراء أغلاطاً استدركها في هذا الجزء (الرابع) من نهاية الأرب صديقنا العلامة (الاب أنستاس الكرملي) فقال :

في ص ٢٠٥ س ١٢ — قوله (وشاهدنا الورد والياسمين والمسمعات بقُصّابها) ضبط (قُصاب) بضم القاف وقال مصحح الكتاب (القُصّاب الاوتار التي سويت من الأمعاء) وقال الاب أنستاس الصواب فتح قاف (قَصّاب) وهو جمع (قَصّابة) ومعناها المزمار . ويكون معنى البيت : انه كان يحضرنا في ذلك المجلس الرياحين والمغنيات بمزاميرهن .

وفي ص ٢٣٣ س ٨ — عدّد الألحان التي اقتبسها العرب عن الأعاجم فقال (ألحان الروم والبربطية والاسطوخوسية) الكلمتان الاخيرتان معطوفتان على (ألحان الروم) فهما إذاً اسمان لقبيلين من البشر فلا يناسب ان نفسر (البربطية) بانها نسبة الى (البربط) وهو العود والصواب فيها انها مصحّفة عن (البزنطية) اي الامة البزنطية المنسوبة الى مدينة (بزنطيه) وهو الاسم القديم للقسطنطينية . فالعرب أخذوا الالحان عن الروم وعن سكان مدينة بزنطية . اما (الاسطوخوسية) فليست بمعنى الأجرام السماوية كما اعتمده مصحح الكتاب وانما هي كلمة يونانية تسمى بها جزائر صغيرة على مقربة من ساحل فرنسا الجنوبي قريبة من مرسيليا وتسمى اليوم جزائر (هواره — Iles d' Hyères) اشتهر سكانها منذ القديم بالقصف والغناء . وهم من جملة من أخذ العرب الألحان عنهم .

وفي ص ٢٦٤ س ٧ — قوله (وسألتني عن الخبر فأقصصتُه عليها) قال المصحح لم نجد في القاموس ولا اللسان (أقصّ الخبر) بمعنى (قصّه) ولعلها محرفة عن (فاقتصصتُه) . وقد استدرك الأب أنستاس على المصحح فقال « ان (أقصّ) الرباعي اذا لم يذكره علماء المعاجم فقد ذكره الطبري في تاريخه (٢ : ١٨٤٠ من طبعة الافرنج) حيث قال (فأتيته فأقصصتُ قصتهم الخ) . ثم قال الاب أنستاس : وانت تعلم منزلة الطبري من الفصاحة والسلاسة فهو أبرع مؤرخ في الاسلام وأحسن من كتب في الاخبار والأحداث . وانك لا تجد معجماً من معاجم اللغة يحوي بين دفتيه مفردات اللغة العربية كلها لانها بحر لا يتغضغض (اي لا ينقص او لا ينزح) بل ومحال ان تجدها مدوّنة فيها . الا ان استعمال الفصحاء للفظةٍ يُتخذ بمنزلة حجة بل بمنزلة شاهد لما يراد اثباته » . اه ما أردنا تلخيصه من كلام الاب انستاس ونحن نوافقه على جميع ما قال حتى على جواز استعمال كلمة عربية لم ترد في المعاجم ووردت في كلام احد الفصحاء لكنني أشترط التثبت من استعمال الرجل البليغ لتلك الكلمة : مثلاً فعل (تبدّى) بمعنى ظهر لم يرد في المعاجم وورد في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي . وروى ابو تمام في حماسته قوله :

(وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدّى)

فليس هناك شبهة في كلمة تبدّى ولا في نقلها المتواتر في حماسة ابي تمام اما قول الطبري (فأقصصتُ قصتهم) فإن كلمة (أقصصت) يحتمل احتمالاً قريباً ان يكون النسّاخ حرّفوها وحذفوا تاءها ويكون أصلها (اقتصصت) فنحن اذن لا نكون على ثقة من ان الطبري استعمل (أقصّ) وارتضاها ما لم نره استعملها في غير ما موضعٍ من كتاباته او اننا على الأقل نجدْ فعْل (أقصّ) في عدة نسخ من تاريخه المذكور ولا يكفي ان نجده في نسخة طبعت في اوربا . والعلامة الكرملي أقدر الناس على معرفة ما اذا كان فعل (أقص) تكرر في كتابات الطبري وجاء في عدة نسخ من تاريخه او لا .

المغربي

النهضة القصصية الحالية

كانت بلاغتنا العربية وما زالت تكاد تخلو من النوع القصصي اذا قيست بادبيات الأمم الافرنجية . وكان كتّابنا حتى العهد الاخير من شعراء وناثرين مقلدين اكثر منهم مبتكرين فكانوا يسيرون على نظم السلف في الآراء والافكار والاوصاف فلم يأتوا بشيء جديد بل أضاعوا شخصياتهم وأفنوها بتهالكهم على القديم فحسب . لذلك لم نجد من كتّابنا من قدم لنا رواية قصصية او أخرى تمثيلية او أقصوصة عصرية . بل كان همهم الوحيد ان يجيدوا فن التراسل على نمط الهمذاني والحريري اونظم القصائد باكين على الاطلال وهائمين بحب هند ودعد وواصفين النوق والرمال ثم مادحين اوهاجين . وربما وصف الشاعر العصري المهند والسمهري وصاح بملء فيه صياح أبطال الحماسة القدماء وهو لم يرَ السيف في حياته الا معلقاً في رداء الشرطي ! فجاءت بلاغتنا العصرية — الا القليل منها — سخيفة تثير الضحك لا الاعجاب . ومن منا لا يحزن ومنذ أواخر القرن الماضي ونحن لا نملك من أدبنا العصري القصصي غير كتاب واحد هو « حديث عيسى بن هشام » . اذا أردنا ان نتحدث عن البلاغة القصصية الجديدة لم نجد الا « حديث عيسى بن هشام » واذا أوصينا احداً بقراءة كتاب قصصي جيد لم نجد الا « حديث عيسى بن هشام » . واذا افتخرنا بادبنا القصصي لم نجد الا « حديث عيسى ابن هشام » . حتى ضقنا ذرعاً به وضاق هو الآخر ذرعاً بنا . ووددنا ان نسكت بدلاً من ان نتكلم عن كتاب واحد فقط . ولكن عزاءنا اليوم اننا بدأنا نرى بزوغ النهضة القصصية العصرية في أفق أدبنا . فاذا تعهدها القائمون بها بالعناية والرعاية والاتقان والجودة سارت سيرها الطبيعي بلا عائق وانتجت نتاجاً قوياً سيكون ميراث المستقبل من بلاغتنا القصصية الجديدة . وانا ذاكرون هنا من لم تخنا ذاكرتنا في ذكرهم من مؤلفينا الجدد الذين وهبوا الأدب العصري القصصي مبتكرات عقولهم . ولو كان المقام متسعاً أمامنا او كنا في موقف النقد لكنا أفسحنا للقلم مجالاً اكبر مما سنفسحه له الآن . ولكن عذرنا في ذلك واضح . فمقدمة كتاب قصصي لا تستطيع ان تحوي نقداً مسهباً تحليلياً لكتاب العصر وكتبهم لذلك نترك للنقاد ميدانهم يجولون

فيه ونقصر بحثنا هنا على ذكر مختصر للكتب القصصية التي ظهرت في عالم البلاغة العصرية والمؤلفين القصصيين الجدد الذين تصدوا للقيام بهذا العمل الجليل ·

حديث عيسى بن هشام لمحمد بك المويلحي

اول كتاب ظهر في الادب العصري القصصي جدير بان نضعه بلامحاباة في الصف الاول من مؤلفاتنا القصصية · اتبع صاحبه في تأليفه طريقة المقامات واستعان باسلوبها المسجع في كثير من مواضعه · لذلك لانستطيع ان نسميه رواية قصصية بالمعنى المعروف عندنا الآن لخلوه من (الحادثة) او (العقدة) التي تمتاز بها القصص العصرية · ولكن هذا لايقلل من قيمة الكتاب للدقة التي استعملها المؤلف في رسم الشخصيات وتحليلها ·

ليالي سطيح لحافظ بك ابراهيم

هذا الكتاب أقرب الى المقامات من حيث الأسلوب والطريقة من حديث عيسى بن هشام · بل يكاد يكون مقامة واحدة طويلة تتضمن نقداً على الأخلاق والعوائد المصرية · ليس فيه شخصيات بارزة مرسومة بريشة قصصية كما في حديث عيسى بن هشام لذلك فاق عليه الاخير في ميدان البلاغة القصصية المصرية وسبقه بمراحل كثيرة ·

قصة زينب لمصري فلاح (الدكتور حسين بك هيكل)

هي قصة عن حياة الارياف جديرة بان تسمى بحق اول رواية قصصية مصرية · راعى مؤلفها في صياغتها كل مايتطلبه الفن القصصي الراقي فأتت قطعة تامة النضوج في بلاغتنا الحديثة · حوارها كله باللغة العامية وهي ميزة يجب ان نقررها بالحمد والشكر للمؤلف · أسلوبها بسيط وجميل خال من التكلف والتعمل يحبب للانسان القراءة · ولكن مما يؤسف له ان صمت المؤلف صمتة نخشى ان تكون دائمة · ولعل قلة الرواج الذي صادفته القصة في عالم الأدب المادي والحالة السياسية التي طوحت بالمؤلف في لجتها اليوم كانتا من أهم الاسباب التي دعت الى هذا الصمت ·

(لا أذكر متى ظهرت هذه القصة بالتحقيق وربما كان ذلك حوالى عام ١٩١٢ والنسخة مع الأسف خالية من تاريخ الطبع ·

* * *

قصص جرجي زيدان التاريخية

لولم ينل الاستاذ جرجي زيدان شهرته الواسعة بكتبه العلمية التاريخية لكفته قصصه التاريخية برفعه الى هذا المستوى نفسه . ولكن قلة العناية بالبلاغة القصصية في العالم العربي عامة والمصري خاصة حدا بجمهور القراء ان لا يأبهوا كثيراً بهذه القصص النفيسة .

وتسمى هذه القصص « سلسلة روايات تاريخ الاسلام » وعددها ثماني عشرة أتى فيها مؤلفها بتاريخ الامة الاسلامية في عصورها المختلفة في قالب قصصي مستحب . بدأها « بفتاة غسان » ثم « بأرمانوسة المصرية » وختمها «بشجرة الدر » وكتب غير هذه السلسلة اربع روايات أخرى عن تاريخ مصر في عهد المماليك وعن الحرب السودانية المهدية . وقد كتب من روايات السلسلة نفسها رواية عن الانقلاب العثماني في تركيا فكأنه استوفى تاريخ الاسلام ومصر جميعه قصصاً . وأسلوبه القصصي والعلمي على حد سواء سهل للغاية ومقبول . اما صوغ حوادث التاريخ بأسلوب قصصي فلا ريب في انه بلغ فيه شوطاً كبيراً من الاجادة والنبوغ . وحسبه ان معظم هذه القصص قد طبع للمرة الثانية والثالثة وترجم بعضها الى اللغات الاجنبية مثل الفرنسي ، والشرقية مثل الهندي والفارسي والتركي .

نتائج الاحوال في الاقوال والافعال : لعائشة تيمور

منذ ثمانية وثلاثين سنة هجرية ظهر في عالم الأدب العصري كتاب قصصي للمنشئة الأديبة السيدة عائشة تيمور هو كتاب « نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال » . (السيدة عائشة تيمور الشاعرة المعروفة احدى أركان النهضة النسائية المصرية وتعتبر اول كاتبة وشاعرة مصرية في أواخر القرن الماضي » . ليست شهرة هذا الكتاب في جودته أسلوباً وطريقة ووضعاً بل في وقت ظهوره وفي الكاتبة التي ألفته . الكتاب يتضمن قصة واحدة على نمط قصص «الحواديت» المصرية بشكل ارقى وأجمل . وأسلوبه مسجع على الطريقة القديمة في العصر العربي المتأخر . ولكن ميزته ان مؤلفته سيدة شرقية مصرية وانه كتب في عصر كان فيه الاهتمام بالأدب والكتابة مقصوراً على الرجال دون النساء . أضف الى ذلك قلة الادباء من الرجال في ذلك العهد وكيف ان التيمورية بزت كثيراً منهم بشعرها ونثرها . واذا علمنا إهمال جمهور القراء والكتاب في هذا

م ٤

العصر لفن القصص استطعنا ان نقدر للتيمورية مجهودها وجرأتها ونبوغها في ذلك الوقت الذي كان فيه ظلام الجهل يكاد يكون شاملاً الجميع ٠

اقاصيص المنفلوطي في النظرات والعبرات

اشتهر المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي «بنظراته» التي كان ينشرها في المؤيد كل اسبوع مرة والتي جمعها وزاد عليها مما لم ينشره فجاء سفراً في ثلاثة اجزاء جمع شتى المواضيع من انتقادية وأدبية واجتماعية وقصصية ٠ ثم نشر كتاب العبرات وهو مجموعة أقاصيص منها المصري المؤلف ومنها الاجنبي المقتبس والمترجم ٠ لذلك يمكننا ان نعتبر المنفلوطي كاتباً قصصياً عالج فن الأقاصيص المصرية ٠

كانت طريقة المنفلوطي في كل كتابته العناية بالأسلوب واللفظ اكثر من عنايته بجوهر الموضوع خصوصاً في قطعه القصصية المؤلفة ، وان كان هذا لا يمنعنا من ان نقدر له آراء قيمة في بعض قطعه الأدبية والاجتماعية وكذلك القصصية ٠ ولكننا نقدر له فوق كل شيء سلاسة أسلوبه وجماله ورقة ألفاظه ووضوح أغراضه مع محافظته على اللهجة العربية الصحيحة ٠ يمكننا ان نجاهر بلا خشية ولا لوم ان المنفلوطي وان كان قد أجاد في أسلوبه القصصي السلس الجميل فقد فشل في مواضيعه القصصية ورسم أشخاصه فيها ٠ فجل مواضيع اقاصيصه تافهة يصح ان نضيفها الى مجاميع الامثال والمواعظ ٠ اتبع في تاليفها طريقة المذهب «الرومانتيكي» المتطرف الذي يشوه فيه الخيال صور الحقائق الناصعة ٠ اما اشخاص قصصه فهي أشباح ليس لها كيان ولا جسم تكاد تتلاشى أمام عينك من شحوبها ٠

ما تراه العيون للمرحوم محمد تيمور

ليس رائدي في كل ما كتبته غير الاخلاص والحق لذلك ارجو ممن يقرأ كلمتي هذه عن تيمور الراحل فقيد ادبنا ومسرحنا ان لا يتهمني بالتحيز والمغالاة في القول لاتصالي التام به ٠ ان محمداً تيموراً شقيقي المحب اولاً ، وصديقي الوفي ثانياً ، واستاذي الكبير ثالثاً ، من اعترف له امام الناس جهاراً بالفضل التام عليّ في كل ما أوتيته وما سآتيه من مجهود لا اعلم مداه ولا نتيجته ٠ ولكن كل هذا ليس له تأثير على نفسي في موقفي هذا وانا اقرر الحقيقة التي لا ارغب في ان ازيد حرفاً واحداً عليها ٠ لذلك اقول بلا محاباة ولا غلو ان

تيمور الراحل كان اكبر مؤلف روائي وقصصي مصري وجد في نهضتنا القصصية الحديثة . انني وانا فرد من حاملي لوائه ، السائرين على طريقته ومذهبه ، المنفذين رغبته ، المتممين لمطامعه وآماله لا اعترف لقصصيينا الذين عالجوا الكتابة في الادب المصري بالفضل الا بقدر اقترابهم وإجادتهم للمذهب الذي كان شعار الفقيد في كل ما كتب وهو العمل على ايجاد آداب مصرية بالمعنى الصحيح . فاذا قلت ان «المنفلوطي» فشل في اقاصيصه المصرية ذلك لانه لم ينجح في اخراج صور ناضجة واشخاص حية بارزة من البيئة المصرية . واذا قلت ان الدكتور «هيكل» قد اجاد في قصة «زينب» ذلك لانه نجح نجاحاً يغبط عليه في ايجاد جو مصري صادق اللون في روايته . واذا قلت ان محمداً تيموراً هو اكبر مؤلف قصصي وروائي وجد في نهضتنا الحديثة ذلك لانه قصر ميدانه على البيئة المصرية بأشخاصها وجوها وصورها واجاد في اخراج هذه الصور في رواياته التمثيلية واقاصيصه تامة النضوج من حيث جودة التأليف ودقة التصوير . والذي يهمنا من مؤلفاته — (ظهرت مؤلفات الفقيد في ثلاثة اجزاء وقد حوت كل ما كتبه من شعر ونثر واقاصيص وروايات تمثيلية) — في هذا المقام هو اقاصيصه المسماة « بما تراه العيون » . اشتهر عن الفقيد انه كان قوي الملاحظة الى حد بعيد ، تنطبع في ذهنه صور المرئيات بخاصة عجيبة ، ماهر في التقليد الى درجة من الاتقان كبيرة ، دقيق الوصف ماهر في صناعة التأليف ، له مذهب في الآداب لايحيد عنه . قاصر كل مجهوده عليه وهذا المذهب كما اسلفنا الذكر هو العمل على « ايجاد آداب مصرية » تكون بمثابة مرآة تنعكس عليها بيئتنا . لذلك كتب اقاصيصه باتقان كبير ولا مشاحة في انه اليوم اجدر اهل عصره في تبوئي اسمى مركز في بلاغتنا القصصية كما يصح ان نسميه بحق اول منشئ مجيد لفن الاقاصيص المصرية .

مؤلفون قصصيون آخرون

لقد ظهر في الوقت الحالي اي في البضع سنين الاخيرة بعد المرحوم محمد تيمور مؤلفون عالجوا فن كتابة الاقاصيص . وهم على قلتهم وقلة مؤلفاتهم يبشرون بمستقبل زاهر جميل . ولا ريب في ان بلاغتنا القصصية في المستقبل ستكون مدينة لهم بجهودهم الصادق

في « العمل على ايجاد آداب مصرية بالمعنى الصحيح » ووضع اساس هذا الفن الجديد . ومن هؤلاء الادباء من لم تخني ذاكرتي في عدهم هم : المرحوم عبيد مؤلف كتابي « احسان هانم وثريا » وشحاته عبيد مؤلف كتاب « درس مؤلم » وابراهيم المصري وحسن محمود ومحمود عزمي وزكريا جزارين والدكتور حسين فوزي وطاهر لاشين وخيري سعيد وعبد القادر المازني وحسن صبحي وسليم شحاته (نشرنا الاسماء بحسب ظهور الاقاصيص مع حفظ الالقاب) وغيرهم من الادباء القصصيين العصريين الذين يتكاثرون كل يوم فيزيدون ثروتنا الادبية القصصية .

وقبل ان نختم هذا الفصل نذكر اسمين اشتهرا في عالم الادب القصصي العربي وهما المرحوم فرح انطون والاديب نقولا حداد . الاول كتب رواية قصصية واحدة سماها « اورشليم الجديدة » وهي قصة شرقية عصرية نزعتها فلسفية اجتماعية . والثاني كتب عدداً عظيماً جداً من الاقاصيص والقصص المترجمة والمقتبسة والمؤلفة . ولكنه بعيد مثل رفيقه السالف عن نزعة « تمصير الآداب » اي خلق ادب مصري في بلاغتنا الجديدة لذلك اتت جميع قصصه وليس عليها من طابع المصرية الا القليل النادر . وهو يعد بحق اكثر كتاب العربية القصصيين كتابة . كثيراً ما يعالج في قصصه نشر الافكار والآراء اجتماعية كانت اوسياسية . وهو مؤلف محبوب من جمهور الشرق العربي عامة . ومن رواياته القصصية الجديرة بالاعتبار «آدم الجديد وحواء الجديدة وجمعية اخوان العهد» .

ويوجد غير هذين الاسمين اسمان مشهوران . اولهما الاستاذ العلامة الدكتور يعقوب صروف والاستاذ الفاضل مصطفى صادق الرافعي .

الاول عالم معروف بعلمه في كافة الاقطار العربية ولكنه مع ذلك قد عالج فن الكتابة القصصية من زمن مضى فوضع ثلاث قصص مصرية ، شرقية ، عربية هي : «فتاة مصر وامير لبنان وفتاة الفيوم » . والثاني كتب ثلاثة كتب قصصية عربية هي : « المساكين ورسائل الاحزان والسحاب الاحمر » وروايات الدكتور صروف روايات شرقية اكثرها مصرية تصف «المجتمع» الذي كتب عنه المؤلف وصفاً مجيداً . اما كتب الرافعي فمشهورة بروعة أسلوبها العربي الصميم الذي لا يخلو في كثير من الأحيان من غموض ظاهر يصدم القارئ القصصي اثناء مطالعته . وهي كتب فلسفية اكثر منها قصصية اه . الجزيرة : محمود تيمور

التنبيه
على اوهام ابي علي في اماليه

ابوعبيدالبكري احدأئمةالاندلس في التاريخ والنسب والادب والجغرافيا وكتاب معجم مااستعجم آيةالآيات في فضله يشهد له بطول الباع وسعة الاطلاع والتحقيق · ولقد عثرنا له من بضع سنين على كتاب مخطوط في خزانة كتب السيد مراد البارودي (١) في بيروت ذكرفيه الاوهام التي سرت الى بعض روايات ابي علي القالي في اماليه المشهورة بانها من أمهات كتب الادب (٢) ومن مدهشات المؤلفات في الرواية والدراية وهاك مقدمته ففيها بيان الغرض من كتابة : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه · قال ابوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمدالبكري رحمه الله الحمد لله خير مابدئ به الكلام وختم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم هذا كتاب نبهت فيه على اوهام ابي علي رحمه الله في اماليه تنبيه المنصف ، لا المتعسف ، ولا المعاند محتجًا على جميع ذلك

(١) كان في هذه المكتبة عدة مخطوطات لطيفة منها خطب ابن نباتة بخط صلاح الدين الصفدي كتبها في صفد سنة ٧١٨ وهي ناقصة جملة صغيرة من الاول وترتيبها على غير ترتيب المطبوع · ومنها مقصورة ابن دريد شرحها ابن خالويه · ومنها كتاب ازهار الاقطار في جواهر الاحجار للتيفاشي وهي نسخة خزائنية كتبت سنة ٦٩٧ ومنها الجزء الرابع من التذكرة المعظمية في الاحكام الشرعية للتميمي فرغ منه سنة ٦٢٧ ومنها معيد النعم ومبيد النقم للتاج السبكي وفيه بعض زيادات على المطبوع في ليدن سنة ١٩٠٨ ومنها ديوان ابي تمام بالشكل الكامل كتب سنة ١٠٦٧ ومنها فقه اللغة للثعالبي كتب سنة ٦٥٣ ناقص من اوله وآخره ومنها نسخة من ديوان المتنبي كتبت سنة ١٦٦٣ فيها بعض ابيات غير موجودة في النسخ المطبوعة · الى غير ذلك من النوادر ·

(٢) طبع كتاب امالي ابي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي سنة ١٣٢٤ هـ في المطبعة الاميرية ببولاق مصر · ووضع له العالمان كرينكو وبفين فهرسًا يقرب بعيده مثل اسماء البلدان والقوافي وغيرذلك وقد طبع في ليدن سنة ١٩١٣ ·

بالشاهد والدليل ، فاني رأيت من تولى مثل هذا من الرد على العلماء والاصلاح لاغلاطهم ، والتنبيه على أوهامهم ، لم يعدل في كثير مما رده عليهم ، ولا انصف في جمل مما نسب اليهم ، وابو علي رحمه الله من الحفظ وسعة العلم والنبل ، ومن الثقة في الضبط والنقل ، بالمحل الذي لا يجهل ، و بحيث يقصر عنه من الثناء الاحفل ، ولكن البشر غير معصومين من الزلل ، ولا مبرئين من الوهم والخطل ، والعالم من عدت هفواته ، وأحصيت سقطاته . كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه .

فلما اوريت من هذه الفوائد كابيها ، وأبديت خافيها ، اعطيت بها القوس باريها ، واهديتها الى المعتمد على الله المؤيد بنصر الله خلد الله دولته ، وثبت وطأته ، لالتماسه اسرار الحكم ، واقتباسه انوار الكلم ، وعنايته بانواع العلم ، واخذه من جميعها بأوفر قسم ، لا اعدمه الله نجماً من السعد مليحاً ، وطائراً من اليمن سنيحاً .

انشد ابو علي رحمه الله :

لقد تركت فؤادك مستجناً مطوقة على فنن تغنى
يميل بها وتركبه بلحن اذا ما عنَّ للمحزون انا

ومنها : وهاتفين بشجو بعدما سجعت ورق الحمام بترجيع وإرنان
باتا على غصن بان في ذرى فنن يرددان لحوناً ذات ألوان

وفسر ما ورد في هذه الاشعار من ألحان الحمام ان المراد به اللغات وانما المراد به اللحن الذي هو ضرب من الاصوات المصوغة للتغني ودليل ذلك قوله :

مطوقة على فنن تغنى

وقول الآخر : يرددان لحوناً ذات الوان

انما أراد ذات الوان من الترجيع كما قال في البيت قبله بترجيع وارنان . قال ابو علي رحمه الله واصل اللحن ان تريد الشيء فتوري عنه كقول رجل من بني العنبر كان اسيراً في بكر بن وائل وذكر الخبر بطوله وفسر ما فيه الى قوله يريد بقوله ان العرفج قد ادبى ان الرجال قد استلأموا اي لبسوا الدروع . ليس في قوله ان العرفج قد ادبى دليل على ما ذكره ابو علي رحمه الله ولا من عادة العرب ان تلبس الدروع الا في حال الحرب واما في بيوتها قبل الغزو فذلك غير معروف وانما اراد بذلك ان يؤذنهم بوقت الغزو و ينبههم على

التيقظ والحذر قال ابونصر رحمه الله : ادباء العرفج ان يتسق نبته و يتأزر واذا اتسق النبت وتأزر أمكن الغزو وقال ابو زياد رحمه الله : العرفج نبت طيب الريح اغبر الى الخضرة له زهرة صفراء ولا شوك له و يقال له اذا اسود عوده حتى يستبين فيه النبات قد اقمل فاذا زاد قيل قد ارقاطّ فاذا زاد قليلاً قيل قد ادبى وهوحينئذ قد صلح ان يؤكل فاذا اغتم وطفحت خوصته واكلاً قيل قد اخوص فاذا ظهرت عليها خضرة الري قيل عرفجة خاضبة ومنابت العرفج يقال لها المشاقر وهي ايضاً الحومان وتكون في السهل والجبل اه ٠

وهاك نموذجاً آخر من الكتاب قال البكري : وانشد ابوعلي رحمه الله غيرمنسوب في خبر ذكره عن الاصمعي رحمه الله :

احقاً عباد الله ان لست ناظراً الى قرقرى يوماً واعلامها الغبر
كان فؤادي كلما مر راكب جناح غراب رام نهضاً الى وكر
اذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكر
فيا راكب الوجناء ابت مسلماً ولا زلت من ريب الحوادث في ستر
اذا ما اتيت العرض فاهتف بجوه سقيت على شحط النوى سبل القطر
فانك من واد الي مرجب وان كنت لا تزدار الا على عفر

خلط ابو علي رحمه الله في هذا الشعر وهو من شعرين مختلفين لرجلين فثلاثة الابيات منه ليحيى بن طالب على ما انا ذاكره وثلاثة الابيات منه لقيس بن معاذ وكان يحيى بن طالب الحنفي سخياً يقري الاضياف فركبه الدين الفادح فجلا عن اليمامة الى بغداد يسأل السلطان قضاء دينه فأراد رجل من اهل اليمامة الشخوص من بغداد الى اليمامة فشيعه يحيى فلما جلس الرجل في الزورق ذرفت عينا يحيى وانشأ يقول :

أحقاً عباد الله ان لست ناظراً الى قرقرى يوماً واعلامها الخضر

هكذا صحة انشاده واعلامها الخضر لا الغبر كما انشده ابوعلي رحمه الله وكيف يحن الى اوطان يصفها بالجدب والاغبرار :

اذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكر
كأن فؤادي كلما مر راكب جناح غراب رام نهضاً الى وكر

فيا حزنا ما ذا اجنّ من الهوى ومن مضمر الشوق الدخيل الى حجر
تعزيت عنها كارهاً فتركتها وكان فراقيها أمرّ من الصبر
اقول لموسى والدموع كأنها جداول ماء في مساربها تجري
الاهل لشيخ وابن ستين حجة بكى طرباً نحو اليمامة من عذر

وقد ذكر ابو علي رحمه الله خبر يحيى هذا وأنشد له هذا الشعر ولكنه نسي ولولا نسيانه لاعتذر وهكذا صحة اتصال ابيات شعره لا كما وصلها ابو علي رحمه الله واما ابيات قيس بن معاذ فانها :

ايا راكب الوجناء ابت مسلما ولازلت من ريب الحوادث في ستر
اذا ما اتيت العرض فاهتف بجوه سقيت على شحط النوى سبل القطر
فانك من واد الي محبب وان كنت لا تزدار الا على عفر
لعل الذي يقضي الامور بعلمه سيصرفني يوماً اليه على قدر
فتبرأ عين ما تملّ من البكا ويسكن قلب ما ينهنه بالزجر

وأنشد ابو علي رحمه الله لمالك بن اسماء في اخيه عيينة لما سجنه الحجاج :

ذهب الرقاد فما يحس رقاد مما شجاك وحفت العواد
خبر أتاني عن عيينة مفظع كادت تقطع عنده الاكباد
بلغ النفوس بلاؤه فكأننا موتى وفينا الروح والاجساد
لما أتاني عن عيينة انه امسى عليه تظاهر الاقياد
نخلت له نفسي النصيحة انه عند الشدائد تذهب الاحقاد
وعلمت اني إن فقدت مكانه ذهب البعاد فصار فيه بعاد
ورأيت في وجه العدو شكاسة وتغيرت لي اوجه وبلاد
وذكرت اي فتى يسد مكانه بالرفد حين تقاصر الارفاد
ام من يهين لنا كرائم ماله وله اذا عدنا اليه معاد

هذا الشعر لعويف القوافي بلا اختلاف واي حقد كان بين مالك واخيه حتى يقول :

نخلت له نفسي النصيحة انه عند الشدائد تذهب الاحقاد

وكيف يقول مالك في اخيه ام من يهين لنا كرائم ماله ومالك أغنى من عيينة

وأنبه وانه كان متصرفاً في الرفيع من اعمال السلطان وكان مع ذلك من اهل الفصاحة واللسن والشعر الفائق والبراعة وعويف احد الشعراء المنتجعين بالشعر المسترفدين للملوك وانما قال عويف عند الشدائد تذهب الاحقاد لان اخت عويف كانت تحت عيينة ابن اسماء فطلقها فغضب من ذلك عويف وقال الحرة لا تطلق الا لريبة وباعد عيينة وعاداه فلما بلغه ان الحجاج سجن عيينة وقيده عطفه ذلك عليه وأذهب حقده له فقال الشعر وهو عويف بن معوية بن حصن وقيل ابن عقبة بن عيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر الفزاري وهو شاعر مجيد سمي عويف القوافي بقوله :

ساكذب من قد كان يزعم انني اذا قلت قولاً لا اجيد القوافيا

والكتاب في ٦٩ ورقة منصفة القطع تغلب الصحة على صفحاته وهو مشكول بالشكل الكامل وقد كتب في آخره . آخر كتاب التنبيه على أوهام ابي علي في اماليه فرغ من تعليقه يوم الاثنين لعشر بقين من صفر سنة اثنتين وستين وستمائة احسن الله تقضيها بالقاهرة المحروسة اه .

محمد كرد علي

آراء وافكار

قصة زقاق الاربعين

« أسرة في حلب تحتاج الى التمحيص »

زرت حلب في صيف سنة ١٩٠٩ م متفقداً مكاتبها القديمة وآثارها فعثرت على اشياء مهمة وصفت بعضها في مجلة (النعمة) البطريركية الدمشقية ولا سيما المكاتب المجهولة فيها وبعض أسرها .

وزرت الصديق الالمعي قسطاكي بك الحمصي فأطلعني على قطعة بخط جده لامه المرحوم عبدالله جبرائيل الدلال [1] في تاريخ أسرة الدلال وفي اولها هذه المقدمة بالحرف :

« يجب ان تعلم انه لما شرف لحلب السلطان مراد [2] المعظم متوجهاً الى فتوح مدينة بغداد وذلك في سنة ١٦٣٨ وقد شاهد هذه المدينة [3] خالية من وجود سكناء مسيحيين بها في تلك الاوقات فزجر الملك وجوه اهالي هذه البلدة واصدر امره الشاهاني ان تحضر مسيحيين وتسكن بهذه المدينة . وتهدد الاهالي انه لحين رجوعه من بغداد اذا لم يرى مسيحيين قاطنين بها فيقاصصهم . فاقتضى وجوه البلدة يطلبوا من متقدمي مدن القريبة لحلب عيَل [4] مسيحيين وأحضروا من الجهات اربعين عيلة وأعطوهم محلة للسكنى وسميت (بزقاق الاربعين) تلك المحلة المشهورة الى يومنا هذا [5] وهي خارج باب النصر .

ولما رجع المرحوم السلطان مراد وشاهد نفوذ امره الشاهاني فانسر من ذلك ومع تمادي الزمان تزايدوا المسيحيين ونموا وقد كان من جملة احد الاربعين عيلة الذين اولاً أحضروهم لحلب بموجب الامر الملوكي كان جدنا الاول وهو المدعو (متروك) اي ديمتري من طائفة الروم الملكية ولاجل البيان وتذكراً لمن يأتي بعدنا قد دونته .

(١) راجع كتاب (السحر الحلال في شعر الدلاّل) لحمصي بك (٢) هو السلطان مراد الرابع (٣) حلب (٤) اي عيال (٥) والاسم باقٍ الى يومنا .

الفقير عبدالله جبرائيل دلال في هذا الكتاب وذلك بتاريخ ٥ ربيع الاول سنة ١٢٥٤ الموافق مسيحية ١٤ ايار سنة ١٨٣٨ [1] .

الفقير

عبدالله جبرائيل دلال

* * *

وقابلت في حلب الصديقين اللوذعيين الخورفسقف جرجس مَنَش وميخائيل افندي الصقال فانكرا قصة زقاق الاربعين . ولما عدت الى زحلة طلبت من الاب منش ادلته على (قصته الزقاقية) فكتب اليَّ بما حرفيته :

الحكاية الزقاقية = على ان نفراً من المتطرفين غير المحققين قد استنتجوا من هذا [2] انقراض نصارى حلب باسرهم واستخلافهم بغيرهم فكان رأيهم فائلاً ونتائجهم أوسع من مقدماتهم واسنادهم ساقطة لاستنادهم الى حكاية طويلة هذا محصلها :

قالوا لما دخل السلطان سليم الغازي حلب ظافراً بالغوري آخر ملوك الشراكسة ولم ير فيها احداً من النصارى . قال : لا بد ان يحضروا بعضهم فيراهم فيها بعد عوده اذ ذاك من حرب العجم فاستأتوا باربعين عائلة منهم فعرف الزقاق الذي عمروه منذ ذاك العهد (بزقاق الاربعين) انتهى تحصيلاً .

قلت : هي حكاية خرافية لا تثبت على محك الانتقاد على ما اثبته في المشرق الاغرّ (٦ : ٣٥٩) والآن أعرض دلائلي على الصورة الآتية زيادة في جلائها فأقول : ان السلطان سليماً مهما كان عدله في رعاياه لا يظن احد أنه يأمر باستئناء النصارى الى حلب حتى ينازعوا امته الاسلامية اسباب البقاء . بل مهما كان حبه للنصارى بالخصوص فلا يظن احد انه يدفعه الى الاهتمام بالنصارى كل هذا الاهتمام الذي يُعدّ في غير محله عند كل منصف من الخاص والعام .

والحكاية مختلة من الوجهة التاريخية من عدة وجوه أخصُّها ان السلطان سليم

---

(١) وهنا عدّد تسعة جدود من بني الدلال من ديمتري (متروك) الى جبرائيل والده . (٢) كان كاتب المقالة قد بين في مقالة خاصة قبل هذه علاقات الأسر الحلبية بغيرها من الاسر اللبنانية والسورية والعراقية فأشار اليها الآن .

الغازي حارب الدولة العجمية سنة ٩٢٠ ﻫ وحارب الغوري سنة ٩٢٢ فتاريخ الحكاية فاسد ثم ان التقليد مسنود الى ابن الشحنة . وقد قلبتُ تاريخه كله . فلم ار منه حرفاً لانه اي ابن الشحنة عاش في غزوة تيمورلنك الشهيرة وبين هذه الغزوة وبين عصر الحكاية المزعومة لا اقل من مئة سنة فكيف يروي ماجرى بعده بسنين متطاولة .

ثم ان الدعوى بانقراض النصارى في حلب منقوضة بادلة صريحة محفوظة عند كل طوائف النصارى اقتصر على اثنين منها :

(الاول) ان العلامة مكسيموس مظلوم يذكر استيلاء المسلمين على كنائس النصارى في حلب ودمشق وانطاكية في نحو اواسط القرن الخامس عشر (القائد الامين ص ٦٠) .

و(الثاني) ان كنيسة الموارنة كانت قائمة في اواخر القرن المشار اليه على ماهو مدوّن في ذيل كتاب الفروض الكنسية المصون الآن في مكتبة البطريركية المارونية فهل بعد هذا يسلّم باحث او مؤرخ بانقراض النصارى الموهوم .

ومع هذا كله لا امتري بضعف حال النصارى في أواخر القرون الوسطى ولكنني امتري بمآل هذا الضعف الى حدّ الانقراض والتلاشي كما يزعمون فغاية ما يخرج به هذا التقليد : ان ما حصلت عليه البلاد من الامان والسلام في عهد السلطان العادل دفع فريقاً من أسر النصارى ان يهجروا لبنان وحمص وحماه وسواها ويعمروا حلب فتناقل الخلف عن السلف مثل هذه الانباء الطيبة وتوسعوا في روايتها حتى انتهت الى حد الخرافة وليس هذا هو اول التقاليد الشعوبية المنقوضة بل مثله كثير يحتاج الى التحقيق واعمال الروية . وهذا لايحط من التقليد على عمومه كما لايخفى على كل ذي ذوق سليم .

اما تسمية المحلة (بزقاق الاربعين) فهي عامة في حلب وبيروت ودمشق وزمن اطلاقها اكثر قدمية من هذا العهد على ماأظن وسبب تسميتها مجهول في الغالب لا تبينه الدلائل الحاضرة فيماارى فأدعه الى فرصة أُخرى لعل الزمان يكشف عن خبايا القدم اﻫ .

هذا ما كتبه اليّ الاب منش على اثر عودتي من حلب كما مرّ وهو منذ سبع عشرة سنة والآن لا أعلم ما ذا ظهر له من هذه المباحث .

وقال صديقي الاستاذ المؤرخ الشيخ كامل الغزي الحلبي في كتابه (نهر الذهب في تاريخ حلب) الجزء الاول الصفحة ١٩٧ ما نصه :

« ولما دخل السلطان سليم خان الثاني الى حلب ورأى قلة من فيها من التجار نقل اليها من البلاد المجاورة اربعين أسرة من التجار المسلمين ومثلها من التجار المسيحيين أسكنهم في (زقاق الاربعين) المنسوب اليهم اه .

وذكر في كتابه المذكور الجزء الثاني الصفحة ٤٢٧ ما مآله :

حارة زقاق الاربعين عدد بيوتها ٩١ وسكانها من مسلمين ونصارى على اختلافهم ٤٨٤ منهم ٣٩ مسلمون والباقون نصارى .

يحدها قبلة حارة عبد الرحيم وشمالاً الهزازة وغرباً عبد الحي وشرقاً محلة الاكراد . يقال ان هذه المحلة مما أسس في ايام السلطان سليم خان العثماني بعد استيلائه على حلب أحضر اليها اربعين أسرة من المسيحيين ليقري بهم تجارة حلب على ما ذكرناه في المقدمة في الكلام على النصارى . فبنت تلك الأسر في هذا الموضع اربعين داراً اتخذوها لسكناهم وسميت المحلة بعددهم » (انتهى قوله) .

ولم أقف على ما دونه الصديق الشاعر ميخائيل افندي الصقال في كتابيه (تاريخ حلب القديم) و (تاريخها الحديث) وهما مخطوطان أفرد فيهما باباً كبيراً للبحث في نصارى حلب ومشاهيرهم . ولكنه قال لي شفاهاً في حلب ويوم زارني في مدينة زحلة منذ سنوات انه لا يسلّم بحكاية (زقاق الاربعين) ونسبته الى اربعين أسرة سكنته .

* * *

هذا ماحضرني الآن عن (زقاق الاربعين) بسطته على علاّته لعل احد الواقفين على حقيقة الخبر يمحصه لان مافيه من المناقضات لا تقبله فلسفة التاريخ ولاسيما ان القصة يسندها بعضهم الى عهد السلطان سليم والآخرون الى السلطان مراد ويهمنا ان تكون هناك حجة قاطعة في صحة الحكاية او تخطئتها لئلا يبقى الكلام فيها مضطرباً .

وليس أجدر من هذه المجلة المعروفة بدقة مباحثها ان تفسح مجالاً لمن يكتب في هذا الموضوع معتمداً على الادلة الصحيحة والآراء السديدة . والله الموفق الى السداد .

زحلة (لبنان) : عضو المجمع العلمي

عيسى اسكندر المعلوف

المسكوكات العربية

« وصاحب السعادة احمد زكي باشا »

بلغني ان العلاَّمة احمد زكي باشا ألقى في مدينة القدس خطاباً نفيساً عن الآثار السورية وقد استطرد في خطابه الى مسألة شغلته منذ السنة الماضية وهي مسألة النقود العربية وما كنت ارتأيتُه انا من استعمال الزجاجات كنقود للتداول مع انها في اعتقاد الباشا ليست سوى أوزان وعيارات · وقد اتى سعادته في خطابه المذكور بالبراهين على تخطئته لي ، ولما بلغني هذا قلت اني أقر وأعترف بكون العلامة المشار اليه من العلماء المدققين وله اطلاع واسع في علوم شتى لاسيما في فنون العرب وآدابهم لكنه غير ضليع بعلم النقود التي يسميها الافرنج (علم النومسماتيك) ·

والبرهان على ذلك ما نشره منذ بضع سنين عن نقدٍ لصلاح الدين الايوبي اذ زعم انه نُقِش عليه صورته · ففنَّدتُ زعمه هذا ببراهين قاطعة لا ردَّ عليها وهي مدرجة في مجلة المقتطف سنة ١٩٢٠ م ·

واما قوله باني لم آتِ ببرهان على استعمال الزجاجات كنقودٍ فلا انكر باني لم اعثر حتى الآن على شهادة مؤرخ عربي بحث قال هذا الكلام ولكن جاء ذكر هذه النقود في تاريخ مصر الحديث للمرحوم جرجي زيدان في الجزء الاول من الطبعة الثانية وجه ٢٦١ اذ قال :

« ونرى في الشكل الخامس والخمسين صورة نقود زجاجية ضُربت في عهد الدولة الفاطمية ايام احتياجها للمال وقلة الذهب · وحالما تولى صلاح الدين الغاها وضرب نقوده المعروفة بالنقود الناصرية نسبةً اليه » ·

والمشهور ان جرجي زيدان نقل هذه الرواية عن مؤرخ فرنساوي جليل وهو الموسيو مارسل احد رجال البعثة الفرنساوية في عهد نابوليون الاول · واليك عبارته باللغة الفرنساوية نقلاً عن تاريخه « مصر من الفتوح العربي الى تملك الفرنسيس » المطبوع في باريس سنة ١٨٧٧ في حاشيته وجه ١٢٩ :

«Salah-ed-dyn avait, en effet, fait frapper à cette époque un assez grand nombre de nouvelles monnaies, soit en or, soit en argent, pour retirer de la circulation les monnaies de verre, espèce d' assignats que la pénurie progressive des finances avait forcé les khalyfes fatimites d' émettre sous divers règnes, et dont Salah-ed-dyn annula l'usage.»

والعبارة لا تختلف كثيراً عن ترجمة جرجي زيدان ·

وأخبرني احد البحاثين عن المسكوكات العتيقة ان لديه مجموعة وافية من الزجاجات يشفُّ منها باجلى بيان انها استعملت بمثابة نقود وقال لي :

ان هذه الزجاجات استعملت كنقود ليس فقط عند العرب بل استعملها قبلهم البيزنطيون اي الروم الذين تملكوا بلاد المشرق · ومن يجهل ان العرب تعاملوا بالنقود الرومية والفارسية والساسانية الى ان أبطلت في أوائل الدولة الأموية وقام مقامها النقود العربية المشهورة عند الامويين والعباسيين ؟ اه ·

ومما يؤيد رأينا في ان الزجاجات لم تكن تستعمل فقط للعيار بل للتداول كنقود هو كثرة ما تركه لنا الاقدمون من هذه الزجاجات لا سيما في الديار المصرية · فانها تعد بالآلاف وعشرات الآلاف — فلو كانت ضربت للعيار والموازين فقط لما كانت وجدت بالكثرة التي نراها في المتاحف العمومية والخصوصية وبين ايدي تجار العاديات وغيرهم ·

وكم حدث ان الدول استعملت ايام الضيق معادن غير الفضة والذهب لا بل ورقاً كما جرى في عهد الدولة العثمانية باستعمالها العملة النحاسية كالبشالك وورق القائمة وذلك أشهر من نار على علم فهل يستبعد ان تكون الزجاجات استعملت كنقود في ايام الفاطميين وغيرهم ·

ونرجو من سعادة زكي باشا ان ينظر الى جيبه اذا كان لم يزل مقيماً في البلاد الشامية فما ذا يرى من النقود الصغيرة السورية كالغرش والغرشين والخمسة غروش هل هي أفضل من الزجاجات اللطيفة التي كانت محكمة الصنع جميلة اللون فانها لعمري اكثر قيمة من الفرط المستعمل في بلاد الشام ·

القاهرة : يوسف اليان سركيس

مطبوعات حديثة

تاريخ مملكة الحبشة

«من عهد ملكة سبا الى دخول هذه المملكة في عصبة الامم»

تأليف السيد بيار آليب المندوب الممتاز لدى دولة سورية مصدّر بمقدمة من قلم الشيخ (Sénateur) السيد هانري دي جوفنيل عضو جمعية عصبة الامم والعميد السامي للجمهورية الافرنسية في سورية ولبنان ، طبع طبعة خامسة في مطبعة بلون نوريت بباريس عام ١٩٢٦

L' Empire des Nègus - par M. Pierre Alype, Paris 1925

أهدى المؤلف كتابه تاريخ مملكة الحبشة الى مجمعنا العربي مصدراً من خط أنامله بكلمات رقيقة أحسن فيها الظن اي احسان بالعرب ومدنيتهم ومدينة حضارتهم التاريخية دمشق . ومؤلفه سفر جليل حسن التبويب والتقسيم يقع في ٣٠٧ صفحات وهو مزين بسبعة رسوم جميلة تمثل نجاشي الحبشة السابق منيلك الثاني وابنته النجاشية زَوديتو العاهلة الحالية والاميرة تَفَري مكونن القيم على شؤون السلطنة واباه الراس مكونن امير هَرَر المتوفى والسيد ليونس لاغارد اول المندوبين الممتازين الافرنسيين وأهمهم لدى بلاط النجاشي وبعض الآثار التاريخية في تلك الاقطار ، وفي آخره مخطط (خارطة) المملكة . والحبشة قطر جبلي موقعه في شرق افريقية ما بين البحر الاحمر وأعالي النيل الابيض و يجري النيل الازرق في وسطها . تسكنه امة قديمة فطرية شبيهة لون البشر (اي كلون البرونز) محسوبة من الجنس البشري الابيض او فرعاً منه معروفاً بالفرع الحبشي . لها حضارة عريقة وعددها يناهز العشرة ملايين من النفوس يدين معظمها بدين الناصري وما بقي منهم مسلمون وموسويون مع طائفة كبيرة تدين بدين الفطرة وفي عوائد اهلها شيء من الوثنية . وهي المملكة الوحيدة الشرقية التي حافظت على استقلالها الى اليوم منذ عهد سيدنا سليمان الذي تمتّ الى نسبه الأسرة المالكة فيها ، او تدعي هذا المتّ . وقد كان لها في زمن النبي (ص) والخلفاء الراشدين اختلاط كبير بالعرب أتيت على ذكره مفصلاً في احدى محاضراتي في ردهة المجمع العلمي العربي . ولها

لغة فصيحة هي احدى اللغات السامية بها الشيء الكثير من قواعد اللغة العربية وألفاظها واشتقاقاتها . وقد رحل المؤلف الى تلك الاصقاع إبان الحرب العالمية بمهمة سياسية ممتازة فدرسها واستبطن أسرار مدنيتها وتفهم أخلاق أمتها وخدمها وخدم أمته فيها خدمات جلّى شكرته عليها الامتان معاً . وقد مال اليها فأحبها وعمل على دعم استقلالها ونجاتها من براثن ذوات الطمع من الدول التي حدثتها نفسها بابتلاعها لقمة سائغة .

(وصف الكتاب) كل صفحة من الكتاب تنفث في القاريء حب وطنه وتاريخه . جمع فيه فأوعى الوقائع التاريخية القديمة والحوادث الاهلية والسياسية الحديثة كتبها بوضوح جلي ولغة بليغة سهلة المأخذ لا يشوبها غريب ولا معقّد . وقد اعتمد في سرد الحوادث الغابرة على انقى الاسناد التاريخية فنقلها بعد ان هضمها وصقلها بقلمه البليغ حتى لم تظهر عليه مسحة النقل لولا علامات وضعها وأشار في الهوامش الى اسماء المصادر . واعتمد في جمع شوارد الوقائع التي جرت إبان وجوده في تلك الاقطار على اختباراته الخاصة ولم يقم للنظريات وزناً ما لم يدعمها بحجج الاختبار . وبهذا تفوّق على من سبقوه من الاوربيين الذين كتبوا عن الحبشة وتاريخها وأخلاقها وبين هؤلاء من زار قطراً منها وبينهم من طاف ارجاءها وجاب مواميها ومفازاتها فلم يوفقوا الى الاطلاع على ما كتب لسعادة هذا المؤلف للاطلاع عليه وقلّ جداً منهم من استوفى الموضوع من جميع اطرافه .

(اعرابه) قسم السيد بيار آليب كتابه الى ثمانية فصول ألخصها بعدة مراحل: ابان في المرحلة الاولى مركز ساحل الصومال الافرنسي ومكانته الحربية والاقتصادية وقاعدته جيبوتي باب الحبشة الوحيد اليوم واتصالها بعاصمة الحبشة أدّيس ابابا بالخط الحديدي وأفاض في وصف الامكنة التي مرّ بها حتى دخل تلك العاصمة . وشرح في المرحلة الثانية أصل الاحباش من كوش ابن ابن نوح عليه السلام وكيف أموا هذا الصقع من افريقية عن طريق مصر واستوطنوها وسرد تاريخهم القديم من منيلك الاول ابن سليمان الحكيم (على زعمهم) ابن داود النبي ملك يهوذا صاحب الزبور من احدى نسائه ميقادية ملكة سبا في التيمن (وهي اليوم بلاد اليمن) عام ٩٥٥ قبل الميلاد حتى عهد منيلك الثاني الذي جلس على عرش اجداده من الأسرة السليمانية فصار ملك شوى اولاً عام ١٨٨٠ في عهد النجاشي تيودورس ثم نجاشي الحبشة (او ملك ملوكها كما يسمي

الاحباش عاهلهم) في ٦ تشرين الثاني عام ١٨٨٩ وهي مرحلة طويلة جمع فيها حوادث الحروب الداخلية ومع الاجانب وخصوصاً التي وقعت منها في ايام النجاشيين ثيودورس ويوحنّس وجاء بالتفصيل على ذكر حرب ايطالية مع الحبشة التي كان سببها غلط ترجمة في معاهدة اوكشيالي وانكسار الطليان في موقعة عدوى (شباط ١٨٩٦) وأوضح بجلاء أغلاط الطليان السياسية والفنية العسكرية التي ادت بهم الى هذا التراجع ، وسعة صدر الملك الحبشي المنتصر وعدل مطالبه المنصوص عليها في معاهدة الصلح مع خصمه . وتكلم عن المعاهدات الدولية بين النجاشيين وملوك اوربا والمحالفات التي أبرمت بين ايطالية وانكلترة وكان القصد من ابرامها تقطيع أوصال الحبشة وابتلاعها لقماً ، اللقمة تلو اللقمة ، وكيف قامت سياسة الفرنسيس بوجه هذا الطموح وثبتت أركان استقلال هذه المملكة الافريقية . وجاء على ذكر جلائل أعمال منيلك الثاني في ضم شعث المملكة وتوحيد أرجائها تحت امرة صولجانه الامبراطوري بعد ان كانت منقطعة الاوصال متفاوتة أغراض رؤساء الاقطاعات المستقلين . وأبان السر في نهوض هذه السلطنة الاقطاعية وذكر العوامل المؤثرة التي أدت الى هذا النهوض وخصوصاً مساعدة فرنسا لهذا النجاشي الكبير وابرامها معه المعاهدات النافعة وانشائها له السكة الحديدية التي فتحت للحبشة أبواب التجارة والصناعة والزراعة وأغدقت عليها وابل الخير وأدخلتها في سلك الممالك المتمدنة وضمنت لها مستقبل استقلالها ومنعة دفاعها . وفي المرحلة الرابعة وهي المرحلة التاريخية الحديثة التي شهد المؤلف وقائعها بعينه وقد جاءت كتتمة نسبتها في الحسن الى بقية الكتاب كنسبة ذنب الطاووس الى سائره . جاء فيها على ذكر تدهور الامير يسوع حفيد منيلك الثاني الذي تربع على تخت مملكة جده ، وخصوصاً عما اقترفه هذا العاهل الفتى من الآثام السياسية ابان الحرب العالمية من جراء تعرجه بين سياسة الحلفاء وسياسة الالمان بميل الى هذه اكثر من تلك حتى قامت عليه قيامة عظماء مملكته وانتشرت الثورة في معظم أنحائها وأوشكت بلاده ان تخسر استقلالها وتتناولها أيدي الدمار لولا حكمة المؤلف اذذاك في تلك الاصقاع وسياسة سفير دولته ودربة الانبامتاووس جثليق الحبشة ممن تمكنوا من حمل أمراء المقاطعات الحبشية على مقاطعته اولاً ثم محاربته وخلعه بفتوى أصدرها سيادة الانباماتاووس واعتقاله

والمناداة بجلالة النجاشية زَوْدِيْتو الامبراطورة الحالية ابنة النجاشي منيلك الثاني وإقامة سمو الامير تَفَري ابن الامير مكوُنّن من الاسرة السليمانية المالكة قيما على المُلك ووريثاً لاريكته فأعاد الى المملكة رشدها وسلامها ووطد دعائم استقلالها المتداعية بمساعدة عمال الدولة الافرنسية . ثم رحل بعد ان وضعت الحرب أوزارها الى باريس ولندن ورومية واجتمع برؤساء حكوماتها وكبار وزرائها وساستها وعقد معهم المحالفات المفيدة . ثم عضدته أخيراً الدولة الافرنسية عضداً متيناً وعملت بواسطة السيد هانري دي جوفنيل عضو جمعية عصبة الامم على ادخال الحبشة في هذه العصبة فنالت هذه المملكة التاريخية منذ ذلك الحين كثيراً من المنافع المادية والادبية .

(محاسن الكتاب) لم تمنعني محاسن الكتاب ان أقف أحياناً وقفة الريب في صحة بعض ماذكره المؤلف . من ذلك : (اولاً) اقتناعه ومحاولة اقناعه في كثير من الامكنة وخصوصاً صفحة ٢٦ ان الاسرة المالكة الحالية التي تدعو نفسها الاسرة السليمانية تمتّ حقيقة الى جدها الاكبر منيلك الاول وان هذا هو حقيقةً ابن الحكيم سليمان ابن النبي داود ملك يهوذا صاحب الزبور من امرأته ميقادية ملكة سبا . ولكن اذا سلمنا انها تمتّ الى منيلك الاول فهل نسلم ان هذا كان بالحقيقة ابن الحكيم ! قصة سفر ملكة سبا من التيمن الى اورشليم لمشاهدة حكمة سليمان حقيقة مشهود لها في الكتب المنزلة . ولكن اي تلك الكتب أم اي مؤرخ قديم قال ان سليمان تزوج بضيفته ملكة سبا او اتخذها حظية فولدت له في اورشليم غلاماً دعاه منيلك ورباه كما يقول الاحباش في تقاليدهم حتى شب وأرسله بحاشية كبيرة الى الحبشة وملّكه عليها ! لعمري انها لدعوى عريضة في شرف النسب لايقرها التاريخ وما أمثالها الا خرافة ينزلها الاحباش منزلة الصحة مبنية على هرب بعض اليهود الى الحبشة عن طريق مصر والسودان في ايام نكباتهم التي يذكرها التاريخ في عهد الاسر البابلي وخراب اورشليم وهيكلها .

(ثانياً) قوله في (صفحة ٢٢) ان الجئز (بالجيم على اللفظ المصري وهي اللغة الحبشية القديمة) والامحرية من اصل فارسي . والصواب أنهما من أصل حميري كما يستدل من شكل حروفها ومن قرب الفاظها الى اللغة العربية ووجه الشبه الكائن بين هذه وبينها من حيث الاشتقاقات الصرفية والادغام والاعلال ووزن بعض الجموع وتصريف

الأفعال الخ . وقد تأكدت صحة هذا المعتقد عقب اكتشاف الالواح الحميرية المشهورة في اليمن

(ثالثًا) قوله (صفحة ٢٣) ان الحروف الحبشية مأخوذة عن المسمارية وان المظنون ان أول حروف عرفت في العالم هي حروف الهجاء الحبشية . أعيذه من مثل هذا التناقض الا اذا وافقني بارجاع أصل الحروف الحبشية والفارسية معًا الى الحميرية وظن معي ان الحميرية نفسها قد تكون من أصل مسماري . أما انها أول حروف هجاء عرفت في العالم فهذا لا أوافقه عليه لاشتهار الحروف الصينية بهذه الاولية .

(رابعًا) قوله (صفحة ٢٨) ان فرومنس وايديسيوس اللذين تاها في سفرهما فدخلا الحبشة عام ٣٤١ وعملا على تنصيرها كانا يونانيين وابني تاجر تونسي اسمه ميروبيوس . والصواب انهما كانا فينيقيين وابوهما هو ميروبيوس الفيلسوف الصوري المشهور .

(خامسًا) قوله عن كتاب فَتْهَ نَكَسْت انه قانون حبشي . والصحيح كما أخبرني الانبا متاءوس جاثليق الحبشة (وهو مصري من الصعيد الاعلى) ان هذا الكتاب عربي اسمه «فتح الملوك» كانت الكنيسة القبطية تعتمد على نصوصه قديمًا جل الاعتماد . وقد تُرجم الى الحبشية من عهد ليس بالبعيد وان كلمة « فَتْهَ » المضافة انما هي كلمة فتح العربية على وضعها الاصلي وتُرجم المضاف اليه الملوك بكلمة نَكَسْت الحبشية وهي تفيد نفس المعنى .

(سادسًا) قوله (صفحة ١٠٣) مستندًا على تأليف كولا (Collat) ان الامبراطورة طَهايْتو كانت هي المتصرفة بأموال زوجها منيلك الثاني . والصحيح ان وزير المالية هبتا جورجيس من قبل ان يُدعى وزيرًا بزمن كثير وأسلافه من قبله هم الذين كانوا أُمناء خزائن سيدهم النجاشي ولم تكن لهم البتة علاقة بالامبراطورة المذكورة بما يخص أمانة الخزائن . اما هي فانما كانت متصرفة باموالها الخاصة وكان لها اقطاعة كبقية العظماء . وقوله ايضًا من باب المديح (في الصفحة نفسها) انها (اي الامبراطورة طَهايْتو كانت شديدة الاهتمام بتقريب أولاد البيوت الملوكية القديمة من أسرتها ولكن فاته ان ذلك الاهتمام انما كان خبثًا منها لانها كانت ترى ايام زوجها معدودة لشدة وطأة المرض عليه فعملت على كسب قلوب أحفاد تلك الأسر القديمة واستمالتهم اليها ليشدوا أزرها يوم تتاح لها الفرص باخذ التاج بالارث عن زوجها . ومن هذا القبيل تزويجها الامير يسوع حفيد زوجها المولود من إبنة امرأته الاولى باحدى تلك البنات

قبل ان يبلغ الثانية عشرة من عمره وكان عمر عروسه سبع سنين وهي جناية كما لا يخفى ٠

(سابعاً) مغالاته (صفحة ١٠٤ وما يليهـا) بوصف الامير مكُونّن والد الامير تَفَري قيّم المملكة الحالي ، والقول عنه في غيرها من الصفحات انه كان مطلق الحرية في إمارة البلاد الهررية تحت طاعة نسيبه النجاشي ٠ نعم ان هذا الامير الحبشي المتوفى كان منقطع النظير بين انداده الامراء الاحباش وقد عرفته بنفسي وكنت صديقاً له مقرباً اليه واطلعت على كثير من الاسرار بسبب ثقة الامير بي ٠ وقد تجلى لي الشيء الكثير من الفضائل وجلائل الاعمال التي ذكرها المؤلف ٠ الا انه كان ضعيف العزيمة قليل الثقة حتى باخلص المتقربين اليه من الحبشة والفرنج ولم يخلُ — شأن عموم متسلطي الاحباش — من سوء النية ٠ والمشهور عنه انه هو الذي دس الدسائس على جميع اقرباء نسيبه النجاشي منيلك العصبيين أولاد وأحفاد جده الملك سهلاسلاسي ه وأشار عليه باعتقالهم وقتلهم الواحد بعد الآخر حتى اتى على آخرهم ، وبث الروح بين الامراء ان لا تتولى امرأة على الملك ٠ كل ذلك ليخلو له الجو ويعود التاج اليه او لولده اذ لم يعقب النجاشي المذكور ذكوراً ٠ وقد ساعد تقلب الحدثان من بعد وفاته على تحقيق أمنيته بان أقيم ابنه الامير تَفَري قيماً على المملكة وورثاً العهد ها ٠ وكانت الامبراطورة طايتو عقيلة النجاشي منيلك شديدة البغض له ولذريته وقد خلقت له مشاكل جمة في أواخر ايام حياته حتى حملت بعلها على إقامة معتمد له في إمارة هرر خلافاً للعوائد الحبشية المرعية فقلّ بذلك نفوذ الامير في عقر داره وتوفي وفي قلبه تلك الحسرة ٠

(ثامناً) قوله (صفحة ١٠٨) ان الامير مكُونّن هذا كان يلقب بالسمو الامبراطوري والملكي وانه تعيّن ليخلف منيلك ٠ والصواب ان هذا اللقب لم يكن يلقبه به الا الافرنج فقط وذلك لصلة قرباه بالعاهل ٠ اما الاحباش فليس في لغتهم هذا اللقب ولا سواه من الالقاب الرسمية المعروفة وانما يلقبون عظماءهم بقولهم « الكبير ، المعظم ، السامي » الى غير ذلك من نعوت التفخيم والتبجيل وعباراته الطويلة ٠ وكان النجاشي اذا كتب اليه رقيماً ذكر اسمه فيه خلواً من نعت ولقب ما خلا كلمة «راس» فيقول بعد الديباجة الملكية التي تستوعب اكثر من نصف الألوكة : « الى الراس مكُونّن ، ليكن اليك سلامي » ٠ ولم يعينه قط خلفاً له لا رسمياً ولا بصفة غير رسمية بل ان دسائس الامير

هي التي جعلت الألسن تلهج تخميناً بان لاخالف للسدة النجاشية الا هذا الامير الباقي في قيد الحياة من الأسرة السليمانية . وقد نزل الاوربيون هذا الحدس منزلة الحقيقة ولكنه تبدّد عندما سمى النجاشي حفيده (من ابنته البكر المتوفاة) الامير يسوع وريثاً لعهده عام ١٩٠٩ وأعلن ذلك رسمياً في داخل مملكته ولدى الممالك الاوربية . ولولا تدهور هذا العاهل الفتى في سياسته ولولا خلعه لما حلم الامير تَفَري بن مكْوُنّن بالملك .

(تاسعاً) قوله (صفحة ١٣٨) انه (اي الامير تفري) بعد وفاة ابيه منحه النجاشي رتبة دَدْجازْماتْش (وترجمتها حرفياً قائد الباب وهي تعادل عندهم رتبة الجنرال) وأقطعه بلاد سيدامو فحكمها وكان عمره ١٥ سنة . والصواب ان هذه الرتبة انما منحه اياها ابوه الراس مكْوُنّن قبل وفاته في هرر وكان عمره اذ ذاك عشر سنين وأقطعه إقطاعة في إمارة هرر . ثم بعد وفاة ابيه دعاه النجاشي الى أدّيْس أَبابا وأبقاه عنده نحو سنة ثم أقطعه بلاد سيدامو لانه ولّى حاكماً غريباً على إمارة ابيه وأقام له قيّماً وصيّاً في حكم تلك المقاطعة لصغر سنه .

(عاشراً) اعتمد على الكتب والتقارير الافرنسية في نقل الالفاظ الحبشية فجاءت معلولة . وانا أجتزئ من هذه الأغلاط ببعضها .

الكلمات المعلولة التهجئة	صوابها
Ménélik	Menilek
Makonnen	Mekwonnen
Taïtou	Tahaïtou
Apté - Gorghis	Habta - Gorguis
Sahlé - Sellassié	Sahla - Sellacié
Addis - Abeba	Addis (ou mieux)Haddis - Abbaba
Dédjazmatch	Dadj - Azmatche
Fitorari	Fit - Aourari

هذا وان كفة ميزان الكتاب من جهة الحسنات لراجحة على كفة الغلطات . وكفى صاحبه شهرةً ان كتابه هذا طبع خمس طبعات في خمس سنين مع ندرة الإخصائيين الذين يهتمون بمطالعة مثل هذه الشؤون المجهولة للناس مما يدل ان جودة قالبه جعلته من الموضوعات الرائجة .

عبد الله رعد

الشيخ سيد العبيط
« وأقاصيص أخرى »

« تأليف السيد محمود تيمور طبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٤ — ١٩٢٦ »
« ص ٢١٦ »

مؤلف هذه الاقاصيص واسمها (الشيخ سيد العبيط) و (الملل) و (ابودرش) و (صديقي تلميذاً وموظفاً) و (خالة سلام باشا) هو الفاضل المفنن السيد محمود تيمور من نبهاء القاهرة كان ألف في السنة الثالثة قصة (الشيخ جمعة وعم متولي) وقد نهج في هذه القصص او الروايات طريقة غريبة جديدة ، واكثر قصصه مبتكرة وقليل منها المحتذى من لغة غريبة ، تمثل حال المجتمع المصري وتصل الى قلوب عامة القراء من طريق التفكهة والتسلية بما يراد بثه فيهم من الافكار الصحيحة . والقصص اليوم في الآداب أداة عظيمة من أدوات التمدين والتثقيف قصر فيها العرب في القديم بالنسبة لتفوقهم في سائر فنون الآداب وهم مقصرون الى اليوم . وقد كان جل العناية بالشام ومصر بالتعريب اولاً ولكن ذلك لا يلذ ولا يطيب ، وها قد أخذت مصر تضع قصصها كما فعل صديقنا مؤلف هذه الاقاصيص وغيره من الشبان المنورين الذين اقتبسوا هذا الضرب من الادب وها هم يبرزون فيه شهراً عن شهر وسنة عن أخرى . وقد علل المؤلف في المقدمة البديعة التي عقدها للكلام على هذا الفن ونشأته عند الأمم لمعنى تغافل العرب عنه (ومنه اقتبسنا في هذا الجزء مقالة النهضة القصصية الحالية) ان أساطير العرب كانت قليلة لذلك جاءت أقاصيصهم قليلة ونقل رأي الاستاذ العقاد في قلة هذه الاساطير وأرجعها الى ثلاثة أسباب الاول الاقليم وأقليم بلاد العرب يبعد بهم عن الاساطير وهم الى السذاجة . الثاني التاريخ تتلخص في ان عبادة الموتى وتأليههم مصدر مهم من مصادر الاساطير والعرب لم يؤلهوا رجالهم الصالحين بمثابة أرباب بل بصورة أشخاص انقياء . والثالث ان الانسان القديم كان يسمي الجوامد باسماء هي في الاصل صفات واستعارات كان يستعملها للحي فلما قدمت هذه الصفات والاستعارات صار للجماد صفة الحي وأضحت له شخصية تماثل شخصية